عفاف محمد القاسم

سنوات الفيلسوف رضا توفيق في الأردن
١٩٢٣م – ١٩٣١م

تقديم
أ.د محمد الأرناؤوط



دار المأمون للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٢/٨٧٥)

٩٢٣.٥
القاسم، عفاف محمد
سنوات الفيلسوف رضا توفيق في الأردن ١٩٢٣-١٩٣١/ عفاف محمد القاسم. _ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦ .
(١٥٦) ص
ر.أ: (٨٧٥/ ٢/ ٢٠١٦).
الواصفات: / التراجم// تاريخ الأردن// تركيا /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

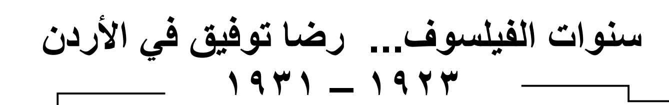
ردمك ISBN 978-9957-77-409-7

نشر هذا الكتاب بدعم من الوكالة التركية للتنمية والتعاون الدولي (تيكا)

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه «أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق.

المأمون
دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com







الإهداء

إلى الذين كانوا لي قبساً أهتدي به...
والدّي الكرام واخويّ الأعزاء...



شكر وتقدير

يقتضي الواجبُ أنْ أسجّل شُكري وتقديري لمنْ ساهم في تذليل بعض الصعوبات التي اعترضتْ سَيْرَ العملِ في هذه الدراسة وهم كثرٌ، وفي مقدمة هؤلاء، أستاذي الدكتور محمد الأرناؤوط، الذي اقترح عليَّ الموضوع أصلاً، والذي أشرف عليه في البداية، وهو خير من يستحقُ الشكرَ والثناء.

وإلى أستاذي الدكتور محمد رجائي ريان خالص التقدير والاحترام على مساهمته في إبداء ملاحظاته القيّمة حول ما ورد في الدّراسة.

وإلى الأخت أمينة ارسوز لترجمتها لي المصادر والمراجع اتركية، والصديقات ميسون بريقع، بشائر علاونة، ابتسام عجاوي لمراجعتهم اللغوية بهذه الدراسة.

وإلى العاملين في مكتبة جامعة اليرموك ومكتبة الجامعة الأردنية ومؤسسة آل البيت، ومكتبة مجلس الأمة، وقسم البحث والتطوير التربوي في جامعة اليرموك تقديري واحترامي لتعاونهم وإخلاصهم معي في فترة إعداد هذه الدراسة.

وكذلك لا أنسى فضل العاملين في مركز ناصر للخدمات الجامعية على ما تحملوه من عناء في طباعة هذه الرسالة وتدقيقها وتنسيقها وإخراجها بهذا الشكل.

فإليهم جميعاً أتقدم بعميقِ شكري وتقديري

عفاف

فهرس المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**



الفصل الثالث

النتاج الثقافي الجديد لرضا توفيق



تقديم

يُعتبر الفيلسوف رضا توفيق من أشهر الشخصيات في الدولة العثمانية خلال الربع الأول للقرن العشرين. فقد انتسب في ١٨٩٠ إلى كلية الطب بجامعة استانبول، التي شهدت في ١٨٩٩ تأسيس جمعية الاتحاد والترقي على يد إبراهيم تيمو وزملائه اسحق سكوتي ومحمد رشيد وعبد الله جودت، التي انضم إليها رضا توفيق وبرز فيها خلال الأحداث المفصلية التي مرّت على الدولة العثمانية خلال ١٩٠٨-١٩١٠. ومع دراسته للطب وعمله في هذا المجال إلا أنه كان مولعا بالفلسفة واللغات والتاريخ والآثار بالإضافة إلى نظم الشعر حتى أصبح لقب «الفيلسوف» جزءا من اسمه.

وهكذا برز بقوة رضا توفيق خلال الحركة الدستورية المعارضة للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) التي أرغمته في ٢٤ تموز ١٩٠٨ على إعادة العمل بالدستور العثماني لعام ١٨٧٦، الذي كان قد جمّد العمل فيه في مطلع، وعلى الدعوة إلى الانتخابات للبرلمان العثماني (مجلس المبعوثان). ومع فوزه في الانتخابات أصبح رضا توفيق عضوا في البرلمان العثماني، حيث تعرّف هناك على نائب الحجاز الأمير عبد الله بن الحسين وتوثقت العلاقة بينهما منذ ذلك الحين. وكما كان لرضا توفيق دوره في أحداث تموز ١٩٠٨ فقد برز أيضا في أحداث ربيع ١٩٠٩التي أدت إلى عزل السلطان عبد الحميد، وهو ما ندم عليه لاحقا وعبّر عن ذلك في كتاباته.

ولكن رضا توفيق كأي مفكّر حرّ لم يتقبّل السياسة اللاحقة لجمعية الاتحاد والترقي، ومن ذلك فيما يتعلق بالعرب، فانتقل إلى المعارضة وانتسب إلى حزب المعارضة (الحرية والائتلاف) ليتحول إلى خصم لدود للاتحاديين في البرلمان العثماني. وقد تمكّنت المعارضة من الوصول إلى الحكم في صيف ١٩١٢ إلا أن الاتحاديين قاموا بانقلاب عسكري في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣ هاجموا فيه مبنى رئاسة الحكومة وقتلوا وزير الدفاع محمود شوكت باشا وأجبروا الصدر الأعظم كامل باشا على الاستقالة، مما أحبط رضا توفيق ودفعه إلى الانسحاب من الحياة السياسية والالتفات إلى العمل الأكاديمي كأستاذ للفلسفة وتاريخ الأدب اله ، ١٩١٣-١٩١٨.

ومع انهزام الدولة العثمانية في نهايه الحرب العالمية الأولى واستسلام الاتحاديين برز رضا توفيق على المسرح من جديد بعد تعيينه وزيرا للمعارف في حكومة الداماد فريد باشا في نهاية ١٩١٨ وعضوا في مجلس الشورى عام ١٩٢٠. وبناء على ذلك تمّ اختيار رضا توفيق وعضوين آخرين (وزير

التعليم هادي العمري والسفير رشيد خالص) للتوقيع في ١٠ آب ١٩٢٠ على معاهدة سيفر التي فرضها الحلفاء على الدولة العثمانية. ولكن هذه المعاهدة، التي فتّتت أوصال الدولة العثمانية، أدت إلى بروز مصطفى كمال على رأس حركة المقاومة المسلحة التي رفضت ما فرضه الحلفاء على السلطان محمد السادس (١٩١٨-١٩٢٢). وعلى حين أن الحكومة الموالية للسلطان استقالت في ١٩٢١ وعُيّن رضا توفيق عضوا في مجلس الأعيان ثم رئيس مجلس شورى الدولة في ١٩٢١، إلا أن «المجلس الوطني الكبير» الذي أقامه مصطفى كمال في أنقرة أصدر في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ اتهاما بالخيانة لكلّ من قبل بمعاهدة سيفر ونتائجها وحكم بالإعدام على مئة وخمسين شخصية كان من بينهم رضا توفيق، الذي غادر استانبول خلال أيام باتجاه الإسكندرية برفقة شيخ الإسلام مصطفى صبري ووزير الحربية سليمان شفيق وغيرهما، ومنها واصل طريقه إلى مكة المكرمة.

وما أن وصل خبر وصوله إلى مكة المكرمة حتى استدعاه الأمير عبد الله بن الحسين إلى عمان ليساعده في تأسيس أجهزة الإمارة الجديدة، وهو ما سمح لرضا توفيق أن يعايش سنوات التأسيس ويتسلّم العديد من المناصب المهمة خلال ١٩٢٣-١٩٣١، حيث شارك في تأسيس «المجمع العلمي العربي» ورأس مجلس المعارف وشارك في وضع القانون الأساسي للدولة لعام ١٩٢٨ ثم عُيّن مديرا للآثار ومديرا للصحة الخ. ومن الواضح، كما نرى في هذا الكتاب، ان هذه «السنوات الأردنية» من حياة رضا توفيق قد تركت تأثيرها في نفسيته وفي إنتاجه العلمي والأدبي كما إنها تفصح عمّا تركه من تأثير في الأردن.

فقد كانت لرضا توفيق مجالسه في عمان وكانت له علاقات ومطارحات شعرية مع الأمير عبد الله ومع شاعر الأردن مصطفى وهبي التل و الأستاذ محمد الشريقي رئيس تحرير «الشرق العربي» التي كانت تنشر مقالاته وغيرهم. ويكفي هنا أن نذكر شهادة محمد الشريقي، الذي عرفه عن قرب آنذاك وكان يترجم مقالاته، حيث يقول عن مجالس رضا توفيق في عمّان إنها كانت «أفضل المجالس وأضوأها شعلة وألطفها بسمة وأكثرها حكمة، وقد ساعدن على تطور الفن والأدب في شرقي الأردن، واستفاد منها الأدباء الأردنيون فائدة كبيرة». وفيما يتعلق بالشاعر عرار فقد كان يلتقي بانتظام مع رضا توفيق بجلسات فلسفية في «دار الحكمة»، التي كانت عبارة عن ورشة نجارة في مدخل المنشية بعمّان وفيها حجران، كان يجلس على واحد رضا توفيق وعلى الآخر عرار و«يدور بينهما حديث فلسفي بعيد عن عالم المادة». وقد قام عرار آنذاك بترجمة «رباعيات عمر الخيام» التي كان قد نشرها

بالتركية رضا توفيق وحسين دانش، إلا أن عرار لم يترجم منها سوى ١٦٩ رباعية من أصل ٣٩٧ رباعية. وقد توثقت العلاقة ببين رضا توفيق و عرار إلى الحد الذي يعترف فيه عرار بتأثير رضا توفيق عليه في أحدى قصائده (الهارب الغالي):

الفيلسوف رضا توفيق لقّنني

أن الشجيّ نجيّ خالي البال

ومن الطبيعي أن تكون لتلك السنوات الطويلة التي قضاها رضا توفيق في الأردن تأثيرها على شعره أيضا. فقد كتب أقوى قصائده «القدرية» وقام بإهدائها إلى الأمير عبد الله، كما أن الأمير ترجم له قصيدة «من دار قوم إلى أخرى» التي ورد في مطلعها:

عددتُ أيام غمّي بعد عهدكم

فكنت كالسيل يجري فائضا صخبا

ومن القصائد المعروفة لرضا توفيق «مدن صامتة» التي كتبها في الأردن بعد وصوله وعبّر فيها عن مشاعره الأولى بالوحدة بعد مفارقته السريعة لأسرته يقول في نهايتها:

تحترق بداخلك يا رضا نار العشق

عندك جرح لا يداوي ينزف منه الدم

سيأتي يوم يتذكرك فيه الأيتام

في الأساطير التي تنتقل من لسان إلى لسان.

ومن هنا يمكن القول ان هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن يتمتع بقيمة كبيرة من حيث انه يكشف لأول مرة عن أهمية هذه «السنوات الأردنية» في حياة شخصية كانت معروفة على مستوى الدولة العثمانية وعن مساهمة مثل هذه الشخصية في بناء أجهزة الدولة الجديدة في شرق الأردن. وفي الواقع لقد كان من سروري خلال عملي في قسم التاريخ بجامعة اليرموك (١٩٨٩-١٩٩٥) أن أقترح هذا الموضوع على طالبتي في الماجستير عفاف القاسم لتكتب فيه رسالتها وأن أشارك في نقاشها خلال تشرين الأول ١٩٩٥، ويسرّني اليوم أن تخرج هذه الرسالة من عتمة الدروج إلى النشر لتؤشّر الى ما لدينا من رسائل تستحق النشر.

ولا يسعني هنا إلا أن أشكر الصديق الدكتور مأمون جرار صاحب «دار المأمون للنشر والتوزيع» على ترحيبه المتواصل بنشر رسائل الماجستير والدكتوراة لطلابنا، وأن أشكر الصديق محمد صدّيق يلدريم مدير الوكالة

التركية للتنمية والتعاون الدولي على مساعدته بنشر هذا الكتاب الذي أتوقع بعد صدوره أن يترجم إلى أكثر من لغة.

أ.د. محمد الأرناؤوط
جامعة العلوم الإسلامية العالمية
عمّان ١٦ شباط ٢٠١٦

المقدمة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديهن ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

أما بعد:

هناك كما نعلم، نوعان من سير الحياة: يحاول الكاتب في النوع الأول، إقناع نفسه بأنه يمتلك مفتاح كل ما هو أساسي في الشخصية المركزية التي يكتب عنها، ويلمّ بجميع الأمور الأساسية المتصلة بها فيضع بحثه بناء على ذلك. أما النوع الثاني فيخاطب الكاتب فيه القارئ بقوله: «هذا كل ما هو معروف، وكل ما يقال حول هذا الموضوع. وعليك أنت أن تقرر أي نوع من الناس هذه الشخصية« ولقد اخترت النوع الثاني في كتابة هذه السيرة.

ونحن هنا لاندّعي لرضا توفيق فضلاً ليس له، أو نلصق به إثماً لم يقترفه فهو لا شك بشرٌ مثلنا، قد يخطئ وقد يصيب. وعلى المؤرخ وهو يترصد حركة الأحداث ويرقبها أن يتوخّى العدل، فيسجل المثالب والعيوب، كما يرصد المزايا والإيجابيات، فليس أخطر على التاريخ من كتابته إرضاءً، لأهواء ومنافع شخصية زائلة، أو كتابته وقوعاً تحت تأثير ايدلوجيات وأفكار سياسية مرحلية.

والبحث الذي أقدمه اليوم يتناول حياة رضا توفيق المفكر العثماني الشهير، أحد رُواد الحركة الدستورية (الإتحاد والترقي) ونائب ادرنة في البرلمان العثماني الجديد، والذي اشتُهر أيضاً كشاعرٍ فذٍ وخطيبٍ مفوّه وفيلسوف عالم، أجاد العديد من اللغات شرقيةٍ وأوروبية. وبالإضافة إلى هذا كله كان محاضراً كبيراً ومؤلفاً واسع الاطلاّع وفي عهد السلطان (وحيد الدين) كان وزيراً للمعارف في وزارة فريد باشا، ولمّا كان رضا توفيق معارضاً لسياسة مصطفى كمال أتاتورك فقد حُكم عليه بالإعدام فهرب إلى مصر فالحجاز ثم لجأ إلى شرقي الأردن لصداقته مع المغفور له الملك عبد الله منذ كان نائباً عن الحجاز في مجلس النوّاب العثماني فكانا زميلين في هذا المجلس وصديقين حميمين، ووجد أحسن وفادة وأصبح من خاصة الأمير عبدالله مدة إقامته في شرقيّ الأردن، وشغل مديرتي الصحة والآثار ووزارة العدل وعضوية المجمع العلمي الأردني، وألقى محاضرات ونشر مقالاتٍ في جريدة الشرق العربي. فمن منطلق إقامته الطويلة في شرقي الأردن والدّور الذي لعبه على الصّعيدين الرّسمي والثقافي وقع اختياري على هذا الموضوع.

كذلك كان من دوافع اختياري لهذه الدراسة تعدّد الدراسات العلمية المتخصصة التي وضعت سواء بلغة التركية أو الانجليزية، والتي تناولت حياة رضا توفيق خاصة في السنوات الأخيرة للدولة العثمانية والنشاط الذي لعبه



قبل أن ينتقل إلى شرقي الأردن، إلا أنه لم يأخذ حقه من الدراسة والاهتمام وتسليط الأضواء على الفترة التي أقامها في شرقي الأردن. وهي فترة ليست بالقصيرة تقريباً عشرة أعوام، عمل بها ترجماناً للأمير عبدالله ووزيراً في حكومة حسن أبو الهدى الثانية، فالسنوات الأردنية في حياته لم يُكشف النقاب عنها، لهذا وقع اختياري على هذا الموضوع لكشف النقاب عن السنوات الأردنية في حياة رضا توفيق.

ومن المصادر والمراجع الهامة التي اعتمدت عليها كتاب باللغة التركية بعنوان (رضا توفيق: حياته، وذكرياته، شعره) للمؤلف حلمي يوزباشي، يحتوي على مجموعة مقالات وضعها أصدقاء رضا توفيق والمقربون منه، جمعها يوزباشي في كتابه بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد رضا توفيق وتعود أهمية الكتاب إلى أنّ مؤلفي هذه المقالات من المُقربين لرضا توفيق وبالتالي أطلعونا على أحداثٍ مهمةٍ في حياته.

وقد اعتمدتُ أيضاً على كتاب «تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨» تأليف ارنست أ.رامزور، خاصةً فيها يتعلق بدور رضا توفيق من انقلاب ١٩٠٨. وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أن المؤلف أتيحت له الفرصة، بحكم المنصب الذي كان يشغله (نائباً للقنصل الأمريكي في استنبول ١٩٤٨-١٩٥٠) أن يتحدث إلى نفر من الذين اشتركوا في ثورة ١٩٠٨ كرضا توفيق، حيث استطاع أن يتحدثَ به ويتعرف إليه قبل سنة ١٩٥٠ وبالتالي يطلّع على دوره في هذه الثورة.

كذلك استفدتُ من كتاب «العرب والترك في العهد الدستوري الأول ١٩٠٨-١٩١٤» تأليف توفيق برو، وذلك في بحث موضوع خلاف رضا توفيق مع الاتحاديين وانفصاله عنهم.

وأفادتني جريدة «الشرق العربي» فيما يتعلق بنشاطه والمناصب التي تولاها في شرقي الأردن، حيث تابعت هذه الصحيفة نشاطه في مجال الصحة والآثار والعدل وعضوية المجمع العلمي الأردني ومجلس المعارف، وقامت أيضاً بنشر العديد من مقالاته والتي تولى رئيس تحريرها محمد الشريقي ترجمتها إلى اللغة العربية.

واستفدتُ من كتاب «خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٩٣١» تأليف عبدالعزيز الثعالبي في دراسة دور رضا توفيق في هذا المؤتمر، وتعود أهمية هذا الكتاب في أنّه يشتمل على شهادات وأخبار تتعلق بمؤتمر القدس، يُنشر معظمها لأولِ مرةٍ، لذا فهو يكتسب قيمةً تاريخيةً على غايةٍ من الأهمية، ولاسيّما أن صاحبه قد ساهم مساهمةً فعالةً في إعداد ذلك المؤتمر.

وقد صادفتني في أثناء إعداد هذه الدراسة العديد من الصعوبات منها قلة المصادر والمراجع التي تتناول حياة رضا توفيق في الأردن، وإن توفرت كانت هناك صعوبةٌ في الوصول إليها كالوثائق الموجودة في مكتبة الديوان الملكي والتي لم استطع الحصول عليها لأنها كانت في دور التصنيف، كذلك اعتذرت زوجة محمد الشريقي عن تقديم يد العون لي في الاطّلاع على أوراق الأستاذ محمد

الشريقي بسبب أعمال الصيانة في منزلها. ولم أتمكّن من الوصول إلى ملفات الوزارات القديمة بسبب احتراقها في متحف القلعة في حرب (١٩٦٧).

وقد جاءت هذه لدارسة في ثلاثة فصولٍ وخاتمةٍ:

خصصتُ الفصل الأول لحياته ونشاطه في تركيا، حيث تناولت فيه مولده ونشأته، دوره في انقلاب (١٩٠٨)، وخلافه مع الاتحاديين وانفصاله عنهم وانضمامه إلى حزب الحرية والائتلاف، كذلك بحثتُ عن علاقته بالصهيونية، وموقفه من معاهدة سيفر، وأخيراً ظروف هروبه من تركيا.

أما الفصل الثاني فقد بحثت فيه مسؤوليات ونشاطات رضا توفيق في شرقي الأردن والمتمثلة في عضويته في المجمع العلمي العربي، ورئاسة مجلس المعارف وإدارة الصحة العامة ونظارة العدلية بالوكالة ومشاركته في حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية وأهمّ القوانين والمشاريع التي كانت لرضا توفيق ضلع فيها، كذلك بحثت في نشاطه في إدارة الآثار ودوره في المؤتمر الإسلامي الثاني.

وفي الفصل الثالث والأخير تحدثت عن نشاط رضا توفيق الثقافي في الإطار العثماني متناولة الجانب الأدبي والفلسفي، وفي شرقي الأردن، متناول أهم المناصب الثقافية التي تولاها رضا توفيق، وأثر البيئة الأردنية في شخصيته، وإنجازاته في مجال الشعر والفلسفة.

وأخيراً خصصتُ الخاتمة لطرح أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الأول

من تركيا إلى شرقي الأردن

- مولده ونشأته
- دور رضا توفيق في انقلاب (١٩٠٨)
- خلاف رضا توفيق مع الاتحاديين
- انضمام رضا توفيق إلى حزب الحرية والائتلاف
- علاقة رضا توفيق بالصهيونية
- رضا توفيق وتوقيع معاهدة سيفر
  - أ- ظروف توقيع المعاهدة
  - ب- ردود الفعل حول معاهدة سيفر
- هروب رضا توفيق من تركيا

من تركيا إلى شرقي الأردن

مولده ونشأته

ولد رضا توفيق (Riza Tevfik) في بلدة جسر مصطفى باشا (تساريبرود Caribrod أو ديمتروف غراد Diitrovgrad)(١)، التي تقع الآن على الحدود مباشرة بين يوغسلافيا وبلغاريا(٢). وقد ولد في عائلة مختلطة، تُمثل الاختلاط الموجود في البلقان خلال الحكم العثماني، من أب ألباني وأم شركسية حسب ما جاء في إحدى قصائده(٣). أما بالنسبة إلى سنة ولادته فلدينا اختلاف في المراجع التي كتبت عنه. ففي عدة مراجع ترد سنة ١٨٦٨م(٤)، وفي بعض المراجع نجدها سنة ١٨٦٩(٥)، بينما ترد في مراجع أخرى سنة ١٨٧٠م(٦). ولكن يبدو لي أن سنة ١٨٦٠م التي أوردها حلمي يوزباشي (Hilmi Yucebas) هي المرجّحة أكثر نظراً إلى أن يوزباشي كان صديقاً مقرباً من رضا توفيق وملماً بتفاصيل حياته(٧).

كان أبوه الشيخ محمد توفيق قاضياً بدرجة قائمقامية(٨) مما جعل العائلة لا

---

(١) نشأت المدينة حول الجسر الذي أقامه أحد الولاة العثمانيين على نهر نيشافا (Nishava) في الطريق الحيوي بلغراد – صوفيا- استنبول، وقد عُرفت خلال الحكم العثماني باسمها السلافي تساريبرود، حيث أن غالبية السكان كانوا بلغاريين. كانت حتى عام ١٩١٨ ضمن بلغاريا ثم ضُمّت إلى يوغسلافيا، حيث أصبحت تقع على الحدود اليوغسلافية – البلغارية، وفي عام ١٩٤٥ سميت باسمها الحالي ديمتروف غراد. انظر:
Enciklopedija Jugoslavije, vol.3, Zagreb,1984,p.453.

(٢) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hatati« in: Riza Tevfik: Hayati – hatiralari- Siirleri, by Hilmi Yucebas (Istanbul: Arkin dagitim limited sirketi, 1968), p.6.

(٣) «أبي ألباني وامي شركسية ومن لا يعرف هذا فليعرف».

(٤) Masami arai, turkish nationalism in the young turk era (leiden: E,J.brill,1992),p 73.

(٥) يوسف بكار، ترجمة عرار المخطوطة لرباعيات الخيام (فيلم فيديو)، (جامعة اليرموك: مركز البحث والتطوير التربوي، ١٩٨٩). أيضاً: حسن كلشي، الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ترجمة محمد م. الأرناؤوط (اربد: دار قدسية، ١٩٩٠)، ص٨٠.

(٦) عبداللطيف بندر أوغلو، قصائد مختارة من الشعر التركي المعاصر، مراجعة وتقديم إبراهيم الداقوقي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ص٣٠.

(٧) Hilmi yucebas, «Riza tevfik ve Hayati», p8.

(٨) Ibid, p9.

تستقر في مكانٍ واحد. وهكذا فقد نشأ رضا توفيق في أدرنة (Edirne)(١)، حيث أنتسب إلى مدرسة الاتحاد الإسرائيلي العالمي (Allance Israelite Universelle School)(٢)، وتخرج من مدرسة غلطة سراي (Galatasaray) في استنبول. وفي الواقع عُرف رضا توفيق بالمشاكسة حتى أنه غيّر عدة مدارس(٣)، إلى أن أكمل أخيراً دراسته الثانوية وانتسب في سنة ١٨٩٠م إلى كلية الطب. وفي ذلك الحين كانت كلية الطب مركزاً للمعارضة الجديدة ضد السلطان عبدالحميد الثاني(٤)، وبسبب نشاطه في هذه المعارضة طُرد من الكلية أكثر من مرة، غير أن تمكن مع ذلك من إنهاء دراسته وعُيّن طبيباً في الجماك العثمانية وأصبح عضواً في الجمعية الطبية(٥).

كان رضا توفيق من اللغات الشرقية والغربية، فقد أجاد اللغة الفرنسية والانجليزية والألمانية والإسبانية والإغريقية واللاتينية والألبانية الفارسية

قائمقام: تعني نائب، أي من ينوب عن الحكم في الولاية أو الإمارة. توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول ١٩٠٨-١٩١٤، (دمشق: دار طلاس، ١٩٩١) ص٨٢.

(١) ادرنة: مدينة بتركيا تقع في تراقية بأوروبا، انتقلت إلى سيادة الأتراك سنة ١٣٦١م وكانت مقر سلاطينهم حتى تح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م: شفيق غربال (محرراً)، الموسوعة العربية الميّسرة، المجلد الأول (بيروت: دار النهضة، ١٩٨١) ص٨٩.

(٢) Neville j.mandel, The Arabs and Zionism before World War 1 (Los. Angeles: University of California pres, 1976) p74.

(٣) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve hayati», P8.

(٤) عبد الحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨)، سلطان الدولة العثمانية (١٨٧٦-١٩٠٩)، كان حزب تركيا الفتاة قد خلع عبد العزيز وأجلس مكانه مراد الخامس أخا عبد الحميد، ولكنه أُنزل عن العرش بحجة جنونه واعتلى عبدالحميد مكانه. قبِل دستور مدحت باشا، ولكنه ما لبث أن ألغاه.

للمزيد من التفاصيل انظر: عبدالحميد الثاني، مذكراتي السياسية (١٨٩١-١٩٠٨)، جمعها علي وهبي، ترجمة مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة: ١٩٧٩٠) أيضاً مذكرات عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبدالحميد الثاني، نقلها إلى العربية صالح سعداوي صالح، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلي (عمان: دار البشير، ١٩٩١). وللمزيد من التفاصيل عن دور كلية لطب كمركز للمعارضة راجع: حسن كلشي، الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ص٢٢.

(٥) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati«, P8.

والعبرانية وأحسن العربية تكلماً وكتابة لا انشاءً[١].

وانتسب رضا توفيق إلى الطريقة البكتاشية[٢] التي كانت تجمع بعض الشخصيات المهمة في ذلك الوقت[٣]. كما كانت تتداخل حينئذ مع الحركة الماسونية[٤]. وقد ركزت جمعية الإتحاد والترقي[٥] على الطريقة البكتاشية، للعمل ضد السلطان عبد الحميد، حيث أن عدداً كبيراً من الأتراك قد انضم إليها، ويُقدّر البعض أن حوالي ثلث سكان الأناضول كانوا تحت تأثير الطريقة البكتاشية. ولابد أن تكون هناك عوامل عديدة لتأييد جمعية الإتحاد والترقي للبكتاشيين، حيث أن البكتاشيين كانوا يدينون بالمذهب الشيعي المخالف لمذهب الدولة العثمانية السنية[٦].

وحسب ما ورد على لسان رضا توفيق: «فإن أصحاب الطريقة البكتاشية كانوا مستعدين عقلياً للترحيب بأية ثورة سياسية وإصلاح اجتماعي يؤيد الحرية التامة للعقيدة وتحسين الإدارة في تركية... وقد ساعد كافة البكتاشيون تقريباً اللجنة ـ يقصد لجنة الاتحاد والترقي-على النجاح في تحقيق أهدافها[٧].

---

(١) رضا توفيق، التفاؤلية والتشاؤمية في الحياة ولشعر (القدس: مطبعة الأردن، ١٩٢٩) ص٢.

(٢) Yucebas, op. cit, p9.
البكتاشية: إحدى الطرق الصوفية التي انتشرت في الأناضول في نهاية القرن الرابع عشر، ومؤسسها حاجي بكتاش، وإليه نُسبت، وتقوم عقيدة البكتاشية على المساواة بين جميع الأديان، وعدم فائدة الشعائر، وجمهور البكتاشية يؤلهون علياً ويذمون أبا بكر وعمر وعثمان، ويعترفون بالأئمة الإثني عشر، والبكتاشية يعترفون بخطاياهم إلى شيخهم ويتلقون منه المغفرة، والخمر غير محرّمة عندهم، ونساؤهم لا يتحجبن، للمزيد من التفاصيل انظر:
إبراهيم زكي خورشيد؛ أحمد الشنتاوي؛ عبد الحميد يونس (محررون)، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع (القاهرة: دار الشعب ١٩٦٩) ص٣٧-٣٩.

(٣) كشيخ الإسلام موسى كاظم أفندي؛ وطلعت باشا أحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي: ارنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة صالح أحمد العلي (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠) ص٢.٢، ٣. ٢.

(٤) آرنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص٢٠٣.

(٥) للمزيد من التفاصيل عن علاقة جمعية الإتحاد والترقي بالطريقة البكتاشية انظر:
M.Sukru Hanioglu, The Yong Turks in Opposition (New York; Oxford: Oxford Univer Sity Press, 1995), pp53-55.

(٦) أحمد نوري النعيمي، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (مركز الدراسات الفلسطينية)، ١٩٨٢)ص١٣٠. ١٣١.

(٧) رامزور، المرجع السابق، ص٢٠٣.

دور رضا توفيق في انقلاب ١٩٠٨

استطاعت جمعية الاتحاد والترقي إجبار السلطان عبد الحميد في ٢٤ تموز ١٩٠٨ على العمل بالدستور الذي قد أقرّ سابقاً (سنة ١٨٧٧) بوقف العمل به، ثم زحف جيش الحركة من الروملي- المنطقة العثمانية في أوروبا- إلى استنبول وسيطروا عليها[١].

كان رضا توفيق انذاك مسؤولاً عن السيطرة على العاصمة استنبول وحفظ النظام فيها. بحكم كونه عضواً في اللجنة المركزية لجمعية الإتحاد والترقي، ويشير رضا توفيق إلى وظيفته هذه في رسالة شخصية لأرنست أ.رامزور (Ernest .A. Ramzure)[٢] والمؤرخة في ١٦ أيار ١٩٤١ جاء فيها ما يلي: «لقد أصيبت جميع السفارات في اسطنبول بدهشة مكدّرة نتيجة لاندلاع الثورة الفجائي، إنهم لم يكونوا يتوقعونها قط، فقد كانت في غير أوانها وكنت آنذاك عضواً مهماً في اللجنة المركزية، ومسؤولاً عن السيطرة على العاصمة، وحفظ النظام فيها. وكان معي ضابط صغير، فكنا نقود الجماهير في المظاهرات التي قامت أمام السفارات لقد استقبلونا ببرود، إنك تعلم أن موقف دولة (النمسا-المجر) وبلغارية بعد إعلان الدستور مباشرة، لم تظهرا لنا كثيراً من الصداقة»[٣].

وفي أول أيام إعلان الدستور قام رضا توفيق بجمع سكان إستنبول وخاصة الشباب في ميدان سر عسكر دائرة سي (Serasker Dairesi)- البناء المركزي لجامعة استنبول- حيث ألقى خطاباً، وأقسم الجمهور على المحافظة على الحرية[٤].

وتصف عائشة بنت السلطان عبد الحميد في مذكراتها رضا توفيق، أثناء اشتراكه بمراسيم تحية الجمعة الأولى بعد إعلان الدستور في ٣١ تموز ١٩٠٨ قائلة: «كان يوجد آنذاك في ساحة الجامع رجلان تركزت عليهما كل الأنظار:

---

(١) محمد حرب، السلطان عبدالحميد الثاني: آخر السلاطين العثمانيين الكبار (دمشق: دار العلم، ١٩٩٠)، ص٢٨.

(٢) آرنست أ.رامزور: ولد الدكتور رامزور في كليفورنية سنة ١٩١٥، وتلقى دراسته الأولى في مدارسها ثم التحق بجامعة كليفورنية فنا شهادتها سنة ب١٩٣٥، وفي سنة ١٩٤٧ حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برنستون، تولى منصب نائب القنصل الأمريكي في استنبول من ١٩٤٨-١٩٥٠ وبمنصبه هذا أتيحت له الفرصة أن يتحدث إلى نفر من الذين اشتركوا في ثورة ١٩٠٨ كرضا توفيق مما ساعده في وضع كتابه «تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨»، والذي يعتبر من أولى الكتب التي وضعت عن تركيا الفتاة باللغة الإنجليزية، عمل رامزور في التدريس في كلية روبرت (استانبول) وفي جامعة ايوا وفي جامعة جورج واشنطن في الولايات المتحدة. وشغل مناصب هامة في كل من استانبول وبرمن وتورنتو ووشنطون وبيروت: آرنست أ.رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص، ٥، ٩.

(٣) آرنست أ.رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص١٥٩، ٢١٥.

(٤) Ahmet hamdi tanyelii, «ihtiyarladikca Genclesen sair» in: Hilmi yucebas, Riza Tevfik, p18.

أحدهما هو رضا توفيق -البلوكباشي-[١] والآخر سليم سري، يظهران في كل مكان ويطوفان حول عربة والدي من خلف ومن قدّام، ويهرعان هنا وهناك، ولم يعلم أحد ما هي المهمة التي أنيطت بهما، ثم قيل فيما بعد إنها الضبط والربط...»[٢].

وتتابع الأميرة عائشة وصفها لرضا توفيق: «كان رضا توفيق بك [٣] يرتدي بنطلوناً أبيض وسترة سوداء، أما سليم سري بك، فكان يرتدي زيّاً يشبه زي الفرسان، ولأننا لم نشهد مثل هذه الملابس في الاحتفالات الرسمية من قبل فقد كنا ننظر إليهما بتعجب... ولما عاد والدي إلى السراي... التفت والدي إليّ وسألني: «لقد كان هناك اليوم ولد معجب بنفسه، يذرع الأرض جيئة وذهاباً أمام عربتي، هل رأيته؟ «فأجبته بقولي: «نعم رأيته، وقيل: إنه رضا توفيق بك، والآخر هو سليم سري بك..» »[٤].

وبعد انقلاب سنة ١٩٠٨، عمل رضا توفيق فترةً وجيزةً في صحيفة «المعلومات»[٥] ثم أُنتخب نائباً عن أدرنة في مجلس المبعوثان. لقد كان رضا توفيق من النواب الشجعان الذين طالبوا في المجلس بتفسيرات للسياسة المالية للسلطان عبدالحميد، عندما ثارت الشكوك حول مصير الأموال التي جُمعت لصالح تشييد الخط الحديدي الحجازي[٦].

خلاف رضا توفيق مع الاتحاديين

بعد إعلان الدستور سنة (١٩٠٨) لم يرضَ رضا توفيق عن منهج ومسيرة جمعية الإتحاد والترقي القائم على الاعتماد على السلطة الدكتاتورية، كذلك لم يكن راضياً عن مجرى الانتخابات وفي ذلك يقول: «كل سياسة الإتحاديين

---

(١) البلوكباشي: بلوك فرقة من الجند، باشي رئيس، بلوكباشي رئيس فرقة الجند: موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض (الكويت: مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤) ص ٤٥١، ٤٥٢.

(٢) عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبدالحميد الثاني، ص٢٢٢.

(٣) بك: لقب تركي، يطلقه الأتراك العثمانيون على أبناء الباشوات، ويلقب به أيضاً ضباط الجيش الحاصلون على رتبة الأمير الاي، أو لقائمام ويلقب به من قبيل التبجيل المبعوثون السياسيون: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع، ص٣٦.

(٤) عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبدالحميد الثاني، ص٢٢٢، ٢٢٥.

(٥) صحيفة المعلومات: جريدة تركية بالعربية والتركية والفارسية، مصوّرة، أصدرها طاهر بك عام ١٨٩٥ في استنبول، انظر: ناجي نعمان (إشراف)، دليل الصحافة العربية (لبنان: دار نعمان لثقافة، ١٩٨٨) ص٣٤٣.

(٦) Sir Edwin Pear, Life of Abdul Hamid (New York: aNew York Times Company, 1973) p303.

مستندة على بقائهم في رأس الأمور: الانتخابات كان ينتخب الرجل عن منطقة لا يعرفها ... وأن المسلمين ثلاثمئة مليون لا يوجد فيهم أربعة رؤوس بحق»[١].

«كذلك كان لسياسة الاتحاديين القائمة على العنصرية والتطرف، أثرها في اتساع حدة الخلاف بينه وبينهم، حيث نادى الاتحاديون من خلال هذه السياسة بتفوق العنصر التركي، وبضرورة سيادته على كافة العناصر الأخرى، وأن تكون مقدّرات الدولة بيده، وفي المقابل نظر الاتحاديون باستخفاف إلى العناصر الأخرى في الدولة وخاصة العنصر العربي»[٢]. وكان رضا توفيق يعرف جيداً سياسة جمعية الاتحاد والترقي في عثمنة العناصر غير التركية في الإمبراطورية، هذه السياسة التي لم يكن راضياً عنها[٣].

وانتقد رضا توفيق هذه السياسة التعصبية لدى الاتحاديين، وقال إن الدستور لا يكون إلا كلمة لا معنىً لها إذا لم تحترم الحرية السياسية والحقوق الأساسية وحرية القول، وإذا لم تُعامل العناصر كلها معاملة واحدة، بمقتضى أحكام الدستور[٤].

وقد لاحظ رضا توفيق استبداد الاتحاديين تجاه العرب خاصة، وذلك أن جميع العناصر غير التركية كالأرمن والروم والألبان والشركس والكرد قد ألفوا بعد إعلان الدستور جمعيات ونوادٍ، وقد فعل العرب مثلهم لكن الاتحاديين لم

---

(١) مذكرات رستم حيدر، ص٦٩٠.
(٢) احمد مظهر بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية (الزرقاء: مكتبة المنار، ١٩٨٤) ص٣١٢.
(٣) Neville J. Mandel, the Arabs and Zionism before World War1, p75.
(٤) علي سلطان، تاريخ سورية (١٩٠٨-١٩١٨) (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧) ص١٣٣.

يعادوا إلا جمعية الإخاء العربي العثماني[١] وأجبروا أعضاءها أخيراً على إغلاقها[٢].

والذي زاد من حدّة الخلاف بين رضا توفيق والاتحاديين، أن رضا توفيق سئم من نفاق الاتحاديين لأنهم يقولون شيئاً ويفعلون شيئاً آخر< فقد اعتمدت جمعية الاتحاد والترقي على مبدأ إعادة العمل بالدستور والحياة الديمقراطية كأساس لثورتها، وهذا ما دفع رضا توفيق للانضمام إليها، لكنها عندما تسلمت زمام السلطة عملت على الإطاحة بالسلطان عبدالحميد، حيث يقول رضا توفيق: «إن كل ما قام به الاتحاديون في الشهور التسعة التي أعقبت انقلابهم إنما هو تحضير للإطاحة بعبد الحميد وإبعاده»[٣].

ففي ١ نيسان ١٩٠٩ زحفت طوابير عسكرية من الجيش في سالونيك باسم «جيش الحركة»[٤] يقوده محمود شوكت باشا[٥] إلى العاصمة، وسيطروا على

---

(١) جمعية الإخاء العربي –العثماني: تأسست في الأستانة في ٢ أيلول سنة ١٩٠٨، من قبل بعض النواب والأعيان العرب، فكانت أول جمعية علنية عربية تأسست بعد إعلان الدستور (١٩٠٨)، ومن بين أعضاء الهيئة الإدارية شاكر الأتاسي، شفيق المؤيد العظم، شكري الحسيني وآخرون. أما أهدافها فهي:
١- المحافظة على القانون الأساسي.
٢- تمتين الروابط بين العرب وسائر الأقوام العثمانية.
٣- السعي لإعلاء شأن العرب والعربية ضمن الجامعة العامة العثمانية.
٤- السعي لنشر المعرفة بين أبناء العرب وذلك بتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف.
وقد أيد معظم المنتسبين إلى جمعية الإخاء العربي العثماني حركة عصيان ٣١ آذار سنة ١٩٠٩ التي قام بها أنصار السلطان عبدالحميد لإلغاء الدستور، فما كان من الاتحاديين بعد أن قمعوا العصيان إلا أن أغلقوا الجمعية وجميع فروعها في البلاد العربية: على محافظة الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤) (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣) ص١٣٦، ١٣٧.
(٢) علي سلطان، المرجع لسابق، ص١٣٣.
(٣) أحمد مظهر بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ص٣٠٧.
(٤) للمزيد من التفاصيل عن جيش الحركة انظر: محمد م. الأرناؤوط، «مذكرات اسماعيل كمال عن «الثورة المضادة« في استانبول«، المحلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد السابع والثامن، (تونس: مركز الدارسات والبحوث العثمانية، تشرين الأول، ١٩٩٣) ص٢٥-٢٨.
(٥) محمود شوكت باشا: (١٨٥٦-١٩١٣) ولد في بغداد ومات في استانبول، قائد عسكر ورجل دولة، عربي الأصل. أبوه سليمان فائق من كبار موظفي ولاية بغداد ومن اشهر المؤرخين البلغاء لحوادث العراق ووله الأصغر حكمت سليمان سياسي بارز في العهد الملكي في العراق وتولى رئاسة الوزراء فيه سنة ١٩٣٦. تلقى محمود شوكت دراسته الأولى في بغداد. ثم انتقل إلى استانبول ليدخل المدرسة العسكرية. ثم دخل المدرسة الحربية وأنهى الدراسة فيها. عمل مدّرسا في المدرسة الحربية (١٨٨٣) أرسلته الدولة في مهمات عسكرية إلى كل من ألمانيا وفرنسا. وبعد إعلان الدستور ١٨٧٦ عُين قائداً للجيش الثالث، وتعاون مع كبار زعماء الحربية (١٨٨٣) وفي عام ١٩٠١ وقي إلى رتبة فريق ثان وعندما رقي إلى رتبة فريق اول عام ١٩٠٥ عين والياً عن ولاية

المراكز الهامة فيها. ثم اجتمع أركان جيش الحركة بأعضاء المجلس الملكي الذي شكله مجلس المبعوثان، وقرروا خلع السلطان عبدالحميد بعد استصدار فتوى من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين، وتولية أخيه محمد رشاد[١].

لم يكن ما جرى يرغب به رضا توفيق، وقد عبرّ عن ندمه فيما بعد حيث قال: «ايها السلطان العظيم، لقد افترينا عليك دون حياء» وقوله: «قلنا إن السلطان ظالم، وإن السلطان مجنون، قلنا لا بد من الثورة على السلطان، وصدّقنا ما قاله لنا الشيطان، فثرنا، وأيقظنا الفتنة النائمة.ولم تكن أنت يا أعظم سياسي العصر مجنوناً، بل كنا نحن المجانين، ولم نكن ندري. لم نكن مجانين فحسب، بل كنا آنذاك أشراراً حُرموا الأخلاق الطيبة»[٢].

لقد حاول رضا توفيق أن يُثني طلعت باشا عن عزمه في الإطاحة بالسلطان عبدالحميد، وأخبره بضرورة تجنب هذه الكارثة، وذكّره بما ستجره هذه الأحداث من ردود فعل عنيفة، فأجابه طلعت باشا: ليس لنا الخيار، إن الجمعية - يقصد جمعية الاتحاد والترقي- بحاجة إلى المال، ولا يتوفر هذا المال إلا في خزينة قصر يلدز (Yeldiz)[٣]، حيث المجوهرات والأشياء الثمينة[٤].

كل هذه الأمور مجتمعة دفعت برضا توفيق إلى الانسحاب من جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩١٠، والاتجاه إلى الحزب الحر المعتدل المعارض[٥]، وقد كان لهذا الانسحاب ما يبرره من سلوك الاتحاديين سياسة تهدف إلى التسلط، والسيطرة
واستخدام القوة في إخضاع جميع ولايات الدولة لحكمهم المركزي الضيق، وكان أهم من ذلك كله رغبة الاتحاديين في سوق المبعوثين أمام سياستهم الاستبدادية كالأنعام، ومحاولتهم كم الأفواه داخل مجلس المبعوثان، بوقوف نواب الجمعية دون حرية الإفصاح عن الرأي بالمهاترات والضجيج، وخارج

قوصوه وبعد إعلان الدستور (١٩٠٨) عُين قائداً للجيش الثالث وتعاون مع كبار زعماء الاتحاد والترقي. ثم أصبح وزيراً للحربية فرئيساً للوزراء بعد انقلاب أنور باشا على حزب (الاتحاد الحر) عام ١٩١٣ ولكنه اغتيل بعد ستة أشهر في ١١حزيران عام١٩١٣. موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ص٦٧.

(١) احمد مظهر بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ص٣٠٨.

(٢) محمد حرب، عبد الحميد الثاني، ص٢٩٢.

(٣) يلدز: تعني النجم، وهو اسم القصر الذي اتخذه عبدالحميد بلاطاً له: توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٨٤.

(٤) مصطفى طوران، اسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة (القاهرة: دار السلام، ١٩٨٥)، ص٦٨.

(٥) حزب الحر المعتدل: تأسس هذا الحزب في تشرين الثاني ١٩٠٩ في (بيرة بالاس)، ضم اثنين وثلاثين نائباً منهم رشدي الشمعة مبعوث دمشق، نافع باشا الجابري مبعوث حلب، صالح باشا التونسي، وبوتشو افندي المبعوث اليوناني، وغيرهم من المبعوثين الروم والارمن والارناؤوط والعرب، تولى رئاسته اسماعيل كمال بك نائب بيرات. وغايته بذل الجهود لتوثيق روابط الاتحاد بين العناصر المختلفة، مع المحافظة على شخصية كل عنصر ومميزاته، وكان هذا الحزب برلماني أي داخل مجلس المبعوثان. توفيق برو: العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٠.

المجلس بالسيف المسلط على رأس الصحافة[١]. وقد تولى رضا توفيق في هذا الحزب رئاسة تحرير جريدة «تأسيسات» الناطقة باسمه[٢].

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٢٨، ٢٢٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٧.

انضمام رضا توفيق إلى حزب الحرية والائتلاف

في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١١ «تأسس حزب الحرية والائتلاف»، وسرعان ما انضم إليه رضا توفيق مع بقية أعضاء «الحزب الحر المعتدل» رغبة في الاتحاد وتوحيد كلمة المعارضة كما انضم إليه حزب «الأهالي»[١] في الشهر نفسه، لتقارب برامج الأحزاب الثلاثة[٢]، وانضم إليه أيضاً نواب آخرون من اليونان والبلغار والأرمن والعرب والألبان. وكان هذا الحزب جامعاً لكل المبعوثين المنشقين عن جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم من المناوئين للاتحاديين في قاعة مجلس المبعوثان وفي خارجه[٣].

وقد شارك رضا توفيق في عضوية أول مجلس إدارة عام لحزب «الحرية والائتلاف» والذي يتألف من الداماد[٤] فريد باشا[٥] (Damad Ferid) رئيساً، صادق بك نائب رئيس، الدكتور رضا نور[٦]، إسماعيل حقي بك مبعوث

---

(١) حزب الأهالي: أسس في ٢١ شباط ١٩١٠، وهو مؤلف من مختلف العناصر والسكان، وكانت غاية الحزب الحصول على احترام حقوق جميع العناصر والسكان، وخاصة حقوق العمال والأحرار، وبذل الجهد لتحسين أوضاع هؤلاء مادياً ومعنوياً. ويتمسك بتحقيق ائتلاف العناصر العرقية، والقضاء على أسباب التفرقة والخلاف، وقد تكاثر أعضاء هذا الحزب حتى كاد عددهم يصل إلى ٣٠ نائباً في الأشهر الأولى من تأسيسه، ومعظمهم ممن انسحبوا من جمعية الاتحاد والترقي. وقد نص برنامج الحزب على نقطة جوهرية هي (اللامركزية الإدارية)، وحرية التعليم باللغة المحلية في كل مقاطعة . للمزيد من التفاصيل انظر: توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول ص٢٢٨.

(٢) يقوم برنامج حزب الحرية والائتلاف على ما يلي: أ- توسيع المجالس الإدارية إلى درجة تحقيق اللامركزية الإدارية ب- تفريق الوظائف إلا في مسائل الدفاع عن الوطن، أو مسائل المنافع المشتركة بين الولايات، مع بقاء مبدأ الرابطة العثمانية. ج- شجب الاعتماد على الفكرة القومية والإسلامية التي من شانها أن تفكك هذه الرابطة د. زيادة سلطة رؤساء الإدارات المحلية. للمزيد من التفاصيل عن هذا البرنامج انظر: توفيق برو، المرجع نفسه، ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) توفيق برو، المرجع السابق، ص٢٥٥؛ محمد م. الأرناؤوط، مذكرات اسماعيل كمال عن الثورة المضادة في استانبول، ص١٥، ١٦.

(٤) الداماد: كلمة تركية تعني (صهر) وتطلق لقباً على كل شخص تزوج إحدى بنات أو شقيقات السلاطين. أرنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص١٨٢.

(٥) فريد باشا: (١٨٥٣-١٩٢٣) كان موظفاً في السلك الخارجي، تزوج إحدى بنات السلطان عبد المجيد فعين عضواً في مجلس شورى الدولة، ثم في مجلس الأعيان، تسلم رئاسة الوزراء في الدولة العثمانية خمس مرات: مذكرات رستم حيدر، ص٤١٥. ٤١٦.

(٦) رضا نور: (١٨٧٩-١٩٤٣) طبيب ورجل سياسة تركي، تخرج من الكلية الطبية العسكرية، ثم أصبح استاذاً فيها، ثورة سنة ١٩٠٨ أختير نائباً عن منطقته سينوب (Sinop) في أول دورة برلمانية، كان أحد قادة حزب الأحرار، هرب إلى مصر بعد فشل



كومولجينة (Komolgena) شكري العسلي نائب دمشق، بصري بك نائب ديبرة (Dibra)، ماهر سعيد نائب أنقرة (Ankara) صدقي بك نائب آيدين (Iden) [١].
وتألفت أول هيئة إدارية برلمانية لحزب الحرية والائتلاف من أتراك وعرب[٢].
وكان رضا توفيق من مشاهير محرّري جرائد الحزب ومنها «تشكيلات»، «تقديرات»، «تأمينات»، «مريخ»، «اصلاحات»، «صحراء»، «إفهام» إلى جانب لطفي فكري بك، الدكتور رضا نور، مصطفى صبري - شيخ الإسلام سابقاً- رفيع جواد وغيرهم[٣].

هذا وقد لعب رضا توفيق دوراً هاماً في مهاجمة سياسة حكومة الاتحاديين، في مجلس المبعوثان، خاصة فيما يتعلق بموقفها من قضية احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب (ليبيا) - التي أدت فيما بعد إلى سقوط حكومة الاتحاديين- ففي أواخر أيلول ١٩١١ قامت حكومة الاتحاد والترقي بتجريد طرابلس الغرب من كل جند وسلاح، إذ سحبت منها الجنود لقمع الثورات في ألبانيا واليمن، ولم يبق فيها سوى عدد قليل لا يتجاوز أربعة أو خمسة آلاف جندي من أربعين ـ خمسين ألفاً كانوا فيها، وضنت عليها بالولاة الصالحين[٤].

وكان زعماء الاتحاديين قد صرّحوا غير مرة بأنهم لا يريدون إراقة دم عسكري واحد لصيانة طرابلس الغرب من اعتداء إيطاليا أو فرنسا أو غيرها، كما عقدت لجنتهم في سلانيك اجتماعاً لبحث مسألة طرابلس الغرب، فقرّ رأيهم على عدم تحصين موانئها، أو اتخاذ التدابير التي تصونها من أي عدوان مفاجئ، وعدم إثارة القضية في مجلس المبعوثان، ثم نشرت جريدة «طنين» - الناطقة باسم الاتحاديين- على إثره مقالاً جاء فيه أن طرابلس الغرب من

تمرد نيسان/١٩٠٩،= =اعتقل سنة ١٩١٠ بتهمة التخطيط للإحاطة بجمعية الاتحاد والترقي، نفي إلى باريس سنة ١٩١٣ عندما تسلم الاتحاديون السلطة. عاد إلى تركيا خلال الهدنة وعُين وزيراً للشؤون الخارجية سنة ١٩٢٢، ووزيراً لصحة سنة ١٩٢٣. اختير نائباً عن منطقة سينوب في (المجلس الوطني الكبير) أبعد عن تركيا سنة ١٩٢٤ لنشاطاته ضد الدولة، سُمح له بالعودة سنة ١٩٣٨ بعد موت أتاتورك.
تخصص بثقافة الأمة التركية، وله العديد من المؤلفات: Feroz Ahmad, The Young Turks (Oxford: Clarendon Press, 1969) p176.

(١) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٥٥.
(٢) هم إسماعيل حقي باشا (رئيساً)، مصطفى صبري، الدكتور داغا واربان (نائبي الرئيس) سعيد الحسيني (القدس)، زين العابدين (قونيه)، داود يوسفاني (الموصل) أعضاءك المرجع نفسه، ص٢٥٥.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٥٦، ٢٥٧.
(٤) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٧٨.



«الولايات التي لا تُفيد الدولة فائدة مالية يُعتد بها، فعلى الحكومة العثمانية الاقتصاد في الانفاق عليها»(١).

حاول الاتحاديون في جلسة مجلس المبعوثان المعقودة في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١١ أن يتنصلوا من مسؤولية عدم تحصين طرابلس الغرب، وأن يلقوها على عاتق العهد البائد، متذرعين بعدم وجود اسطول للدولة يقابل اسطول العدو، فحدثت بينهم وبين المعارضة مشادة، واتهمهم رضا توفيق بأنهم يلعبون بالدستور كما يلعب اللاعب بخيال الظل، وبأن المعارضة نبّهت الوزراء السابقة ـوزارة حقي باشاـ إلى نيات إيطاليا السيئة نحو طرابلس الغرب، لكنها لم تفعل شيئاً لإتقاء غدرها، وأن سياسة الدولة أصبحت في يد أُناس عاجزين، وأنها أكثر من ذلك واقعة تحت تأثير مؤثر شديد وحقد الإدارة الأوروبية(٢).

وهكذا نجد رضا توفيق يقول في إحدى مداخلاته: «وإذا لم يكن لنا قوة من مال أوروبا كي نستطيع أن نمنع هذه الحرب لأجل ذلك أقول إننا في حاجة إلى وزارة تثق بها أوروبا، التي جاءتنا بكل هذه المصائب، أكثر مما تثق بها أكثرية المجلس، وأكثر مما تثق بها الأمة العثمانية كلها. أقول لكم. أيها السادة بكل صراحة أنه إذا دخل الوزراء الجديدة وزراء من الوزارات السابقة سوف لا يثق بها أحد، لا تنتظروا الثقة مني ولا من الدول ولا من الأمة العثمانية. في سلطتنا خمسة عشر مليون عربي ونوابهم هنا... سلوهم هل هم راضون عن الحالة الحاضرة؟ كلا بل هم مستاؤون، وانا سُحت وسألت من رايت، وعلمت أن الألبان أيضاً مستاؤون. إذن أقول لكم وأنا متأكد من قولي، أن لا اوروبا ولا الأمة العثمانية تثق بوزارة كهذه»(٣).

وقد نوّه رضا توفيق في هذه الجلسة أيضاً بتكالب الاتحاديين على الكراسي الوزارية، وتحدث عن فشل محاولة قام بها المعارضون للاتفاق معهم على وزارة ترضى عنها المعارضة والدول الأوروبية، سائلاً حكومة الاتحاديين عن سبب سحبها الجند من طرابلس الغرب، وتركها خالية منه(٤).

استمرت معارضة حزب «الحرية والائتلاف» لحكومة الاتحاديين، لأنها في نظرهم غير جديرة بالثقة. وغني عن القول أن الاتحاديين لم يكونوا على استعداد لمنح الثقة لوزراء من غير حزبهم في مجلس المبعوثان، ولا للتخلي عن وزارتهم، بينما كان رأي المعارضة مبنياً على أن الوزراء الحاليين لا يمكن أن يحرزوا ثقة أوروبا، وقد علق رضا توفيق على هذه النقطة أهمية كبرى، لأن

(١) المرجع نفسه، ص٢٧٨، ٢٧٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٨٠، ٢٨١.
(٣) توفيق برو، العرب ولترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٨١، ٢٨٢..
(٤) المرجع نفسه، ص٢٨٢.

الدولة إذا أرادت مواجهة الأحداث الجديدة وجب عليها أن تؤمن الأموال اللازمة للاستعدادات الحربية، وهي في ضيق مالي شديد، وبحاجة ماسة إلى قروض أجنبية من الدول الأوروبية، لكن هذه الدول لا تثق بالاتحاديين، لما رأوه من تطرف وزرائهم الذين تلولوا الحكم في السنتين الأخيرتين[١].

كذلك لجأ رضا توفيق إلى كتابة مقالات قوية في جريدة «الشهراء» (Sehrah) المعارضة[٢] التي أغضبت الاتحاديين كثيراً وجعلتهم يتحولون إلى أعداء له. ففي وقت الانتخابات التكميلية سنة ١٩١١[٣] ذهب رضا توفيق إلى أدرنة، حيث كان الاتحاديون يأخذون أصوات الشعب بالعصى وتعرض رضا توفيق للهجوم بالكراسي والعصي، وقام محرر جريدة «الشهراء» رفيق جواد أولوناي (Rifik Cevad Ulunay) بإرسال رجالاً لانقاذه، إلا أن حكومة الاتحاد والترقي أوقفت هذا الرجل، وقامت بإرسال رضا توفيق - مع انه كان مريضاً- إلى استنبول وفرضت عليه الإقامة الجبرية فيها[٤].

إلا أن رضا توفيق بقي موقفه قوياً أمام كل هذا، واستمر في كتابة مقالاته ونقده واعتراضه بدون قيد، كبار رجال الاتحاد والترقي وجدوها فرصة لزجه في السجن. ويوجح رضا توفيق هذه الحادثة في رسالة ساخرة إلي صديقه جمال الدين سراج أوغلو (Cemalettin Saracoglu) سنة ١٩٤٨، يعتذر له فيه عن عدم زيارته في السجن، جاء فيها ما يلي:

«حتى الآن لم أزرك، أنا متأسف، ليس هذا جبناً من الاقتراب من السجن لكني أحس بعدم القدرة، حتى الآن لا زلت أذكر هذه الفترة الكريهة، عندي أمل أن تعذرني، لأنك أكثر أصدقائي معرفة بحالي، لقد قام الاتحاديون بنفس المزحة معي، واسترحت في السجن خسمة وعشرين يوماً حسب التاريخ المدون في دفتري
٢٧ ربيع الأول ١٣٣٠هـ (١٧ آذار ١٩١٢) خرجت منه تقريباً قبل سبعة وثلاثين عاماً، إنني من المجرمين، لقد كان ذنبي كبيراً، اتحدث معك حتى يأخذ القراء العبرة. في زمن الانتخابات، بطبيعة الحال في هذه المناسبة يُتاح لنا حرية الكلام، لكن حكومة الاتحاديين كانت تقيّدنا وأصرّت أن نتقيد ببعض شروط ديمقراطية الاتحاديين، في الوطن كان الاتحاديون قلة، لكنهم كانوا مسيطرين

---

(١) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٨٣.

(٢) Rifik Cevad Ulunay, «Feylesof hapishanede iken», in: Hilmi yucebas, Riza tevfik, p.180.

(٣) حدثت انتخابات فرعية في استنبول لانتخاب نائب عنها، بدلاً من أحد النواب المتوفين، ونجح الائتلافيون على خصومهم الاتحاديين بأغلبية صوت واحد، وقد أصاب الاتحاديون الذعر من تفاقم خطر حزب «الحرية والائتلاف» عليهم فانتهوا إلى حل مجلس المبعوثان، وهيأوا الجو لانتخابات جديدة سريعة، استعملوا الضرب والجرح والخداع: توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٣٩٧، ٣١١.

(٤) Ulunay, op.cit p.180.

على مجلس المبعوثان. مثال على تقيدهم ان الخطابة كانت ممنوعة في المجالس والبيوت والحدائق والفنادق، كان الخطيب يُلقي خطابه بصورة سرية، في فندق قريب من شاطئ جزيرة كبيرة، ألقينا أنا وصديقي كوزمدي (Kozmidi) [١] خطاباً حول الانتخابات لمجموعةٍ يبلغ عددها اثني عشر شخصاً، كان الوقت عصراً ومن بين المستمعين شرطي من رجال الاتحاديين، كتب عني تقريراً لحكومة الاتحاديين، أخبرني أنني أقوم بعمل ضد القانون، وحُكم عليّ وعلى كوزمدي بخمسةٍ وعشرين يوماً. أنا لا أمزح أقسم بشرفي أن هذا صحيح، وعندي وثائق رسمية أن الأحكام العرفية والمشروطية متلازمتان... هناك ديمقراطية لكنها لا تطبق، القانون يمنعها، لكن يجب أن يطبق هذا القانون... [٢].

وبعد أن أدى فشل الاتحاديين ضد إيطاليا في غزوها لطرابلس الغرب، وثورة ألبانيا سنة ١٩١٢، إلى نفور الرأي العام، وإلى قيام اعتصام ضدهم في الجيش، استقالت وزارتهم في تموز ١٩١٢، وتألفت وزارة من الائتلافيين والمعتدلين، وحلت هذه الوزارة مجلس المبعوثان في شهر آب، ولم يكن قد مضى عليه سوى أربعة أشهر، وحاولت تطبيق الإصلاح في الولايات على أساس اللامركزية كأفضل وسيلة للوقوف في وجه أطماع الدول الأوروبية[٣].

إلا أن الحكومة الائتلافية واجهت نكبة جديدة إضافة إلى عقد الصلح مع إيطاليا في كانون الثاني سنة ١٩١٢، وهي حرب البلقان، حيث اتفقت بلغاريا واليونان والصرب والجبل الأسود مع بعضها، وشنت حرباً ضد الدولة العثمانية. وأثار الاتحاديون وكانوا خارج الحكم، الرأي العام والغوغاء، وملأوا قلوب الناس بالحماسة للحرب، فدخلت الحكومة الائتلافية الحرب وتخلّت عن فكرة التفاهم السياسي، لكن البلقانيين انتصروا خلال فترة قصيرة، واقتربت جيوشهم من استنبول واستولوا على سالونيك وحاصروا أدرنة، فاضطرت حكومة كامل باشا إلى توقيع هدنة في كانون الأول سنة ١٩١٢ خوفاً من سقوط العاصمة. وظلت الحكومة في السلطة حتى ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٣ عندما قام الاتحاديون بهجوم على رئاسة الوزراء وقتلوا وزير الحربية وأجبروا كامل باشا على الاستقالة، وتألفت وزارة جديدة برئاسة محمود شوكت باشا الاتحادي[٤].

---

(١) كوزمدي: نائب اليونان في مجلس المبعوثان، ومدير جريدة (صداي ملت)، شن حملات قوية ضد الحكومة الاتحادية: توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٣٧.

(٢) Cemalettin Saracoglu, «Riza Tevfik nasil hapis oudu?». In: Hilmi Yucebas Riza, Tevfik, pp.140-142.

(٣) علي سلطان، تاريخ سوريا، ص١٤٦.

(٤) J.A.R. Marriott, The Eastern Question (London: Oxford University, 1940) p.457.



وعلى أثر خروج الحكومة الائتلافية من الحكم، ترك رضا توفيق النشاط السياسي وتوجه للعمل في جامعة استنبول[١]، حيث عمل أستاذاً للفسلفة[٢] ولتاريخ الأدب العثماني في الفترة الواقعة ما بين (١٩١٣-١٩١٨)[٣]. وفي سنة ١٩١٨ شغل منصب وزير المعارف في حكومة الداماد فريد في عهد السلطان وحيد الدين[٤]. ومن أهم الأحداث السياسية التي جرت في عهد هذه الحكومة توقيع معاهدة سيفر والتي سوف أتناولها بالتفصيل لاحقاً.

علاقة رضا توفيق بالصهيونية

عقد اليهود اجتماعاً لهم في استنبول في شباط سنة ١٩٠٩، وفي هذا الاجتماع اعتبر رضا توفيق نفسه متحمساً ونصيراً للصهيونية لكن في تموز من نفس العام وفي اجتماع آخر لليهود عُقد في إزمير (Izmir)، تغيّر صوته، وأصبح يعبرّ عن أمله في أن الذين أُضطهدوا من اليهود سوف يجدون الأمان في الدولة العثمانية، لكنه حذر أنصاره ضد تحويل الصهيونية إلى مصطلحات سياسية[٥].

أُعتبر رضا توفيق صديقاً لليهود بصفته إسرائيلي الثقافة[٦]، حيث تلقى التعليم في طفولته- كما أشير سابقاً- في مدرسة الاتحاد الإسرائيلي العالمي الأليانس (Alliance) لكنه لم يتعاطف مع الصهيونية كحركة سياسية على الرغم من أن له

---

(١) جامعة استنبول: فتحت أبوابه للطلاب في اليوم الثاني عشر من شهر آب عام ١٩٠٠ بمناسبة مرور أربع وعشرين سنة على ارتقاء السلطان عبدالحميد الثاني العرش، وكانت تعرف باسم (دار الفنون) ثم أطلق عليها اسم جامعة استنبول، وكانت تتبع وزارة المعارف العمومية، وضمت أول أمرها أربع كليت هي: كلية أصول الدين، والعلوم الرياضية، والعلوم الطبيعية وكلية الآداب، واعتبرت مدرستا الحقوق والطب كليتين ملتحقين بالجامعة: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦)، ص١١٥٩.

(٢) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati», p9

(٣) Masami Arai, Turkish Natonalism in the Young Turk Era, p9.

(٤) Hilmi Ziya ulken, «Riza Tevfik: filizof ve sair» in: Hilmi yucebas, Riza Tevfik, p.8 = وحيد الدين (محمد السادس): (١٨٦١-١٩٢٦)، أحد سلاطين آل عثمان (١٩١٨-١٩٢٢) خلف اخاه محمد الخامس خُلع سنة ١٩٢٢، هرب ومات في سان ريمو بإيطاليا، دفن في دمشق، انظر: شفيق غربال، الموسوعة العربية الميّسرة، ج٢، ص١٦٥٩.

(٥) Neville J. Mandel, The Arabs and Zionism befor World Warl, p.74.

(٦) خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (١٩٠٨-١٩١٨) (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية (مركز الأبحاث، ١٩٧٣)، ص١١.




أصدقاء بين اليهود[١]. ففي لندن (تموز سنة ١٩٠٩)، وعلى مأدبة السير فرنسيس مونتيفوري (Francis Montefiore)-الرئيس الفخري للاتحاد الصهيوني الانجليزي - أعاد رضا توفيق جوهر هذه الفكرة مؤكداً: «إن الهدف الأساسي للصهيونية هو سعادة ورخاء أكثرية الأمة اليهودية، لكن هناك نوع من الصهيونية التي ربما ألغت ذلك الهدف وعملت النقيض».

كذلك حذر رضا توفيق من أن «الأهداف السياسية لحركة الصهيونية لا تحتمل الاستحسان في الإمبراطورية العثمانية، خاصة في الوقت الحاضر، حيث هناك الكثير من المشاكل السياسية الداخلية بحاجة إلى حل»[٢].

وهكذا ومع كل عطفه على اليهودية، إلاّ أنه كان حذراً، وخاصة بعد أن اتضح له أن الجهود الصهيونية تهدف لتوطين اليهود في فلسطين[٣]. وما لبث أن تحول عطفه على اليهود إلى هجوم عنيف. ففي جلسة مجلس المبعوثان التي عُقدت بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني سنة١٩١٠ لمناقشة تكاليف توطين مهاجرين في الروملل، جرت مناقشة عنيفة لأن بعض النواب قد حثوا الحكومة على الاهتمام بتحسين الوضع الاقتصادي أكثر من الاهتمام بالهجرة، وظهر رضا توفيق في هذه الجلسة عنيفاً ضد اليهودية إذ قال: «أنه في الوقت الذي تضع انجلترة فيه قوانين ضد الهجرة، تقوم حكومتنا بالسماح لليهود الأجانب بالدخول إلى البلاد، يجب ألاّ ننسى أن الذين يأتون هنا لن يكونوا روتشيلد (Rothschild) [٤] بل أشخاصاً في حالة سيئة جداً، لا نريد بؤساً آخر...»[٥].

---

(١) تقارير جاكوب اسرائيل دي هان عن لقاءاته مع سمو الأمير عبدالله (١٩٢٣-١٩٢٤)، ترجمة مهنا حداد، مجلة اليرموك، العدد الأربعون (اربد: جامعة اليرموك (دائرة العلاقات العامة)، ١٩٩٣) الجزء الثالث، ص٥.

(٢) Mandle, Op. cit, p75.

(٣) Neville J. Mandel, The Arabs and Zionism before World WarI, p.75.

(٤) روتشيلد: أشهر العائلات اليهودية المصرفية في العالم، نشأت في فرانكفورت في القرن السادس عشر وأثرى ماير روتشيلد من اشتغاله بالعملة أثناء حروب الثورة الفرنسية. تفرق أبناؤه الخمسة وأسسوا أعمالهم في خمسة بلاد أوروبية مختلفة وأصبحوا شخصيات هامة في عالم المال والسياسة، فاحتلوا المقاعد في مجالس النواب، ومولوا عملية الشراء بريطانيا لأسهم قناة السويس، ومولوا بعض الأحزاب التقليدية، ونشاط المستوطنين اليهود في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر، كما وجه وعد بلفور بصيغة خطاب إلى اللورد ليونيل والتر روتشيلد: عبد الوهاب الكيالي (محرراً) الموسوعة السياسية، ج٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١) ص٨٣٨.

(٥) خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، ص٧٨.



وفي مقابلة أجرتها صحيفة «جويش كرونيكل» مع رضا توفيق لمعرفة موقف تركيا من الصهيونية ومشاريع الاستيطان على أبواب المؤتمر الصهيوني العاشر، صرح بأن ما تخشاه تركيا هو التدخل الأجنبي: «الانجليز يتهمون الصهيونيين بأنهم طلائع الاستيطان الألماني، والألمان يشيرون إليهم بأنهم حملة الراية البريطانية إلى فلسطين...» وبنظره فإن الصهيونية تمثل مفتاح ذلك. لقد رفض رضا توفيق الشعار الصهيوني «سنعطيكم المال والأدمغة» لأن التركي - على حد تعبيره- يحس أن وراءه تدخل أوروبي[١].

وهكذا يتبين لنا أن رضا توفيق كان متعاطفاً مع الصهيونية، المرادفة لكلمة اليهودية، وعلى حد تعبير رضا توفيق: «من المحتمل أن يكون العثماني صهيوني، الكلمة المساوية ليهودي وطني» الصهيونية التي تسعى إلى سعادة ورخاء الأمة اليهودية، ولم يكن نصيراً للأهداف السياسية للحركة الصهيونية، خاصة عندما تبين له أن جهودها تهدف لتوطين اليهود في فلسطين[٢].

رضا توفيق وتوقيع معاهدة سيفر

- ظروف توقيع المعاهدة

هُزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ووقعت هدنة مودروس (Moodres) في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٨، ونتيجة لذلك احتلت قوات الحلفاء أهم النقاط العسكرية الإستراتيجية والاقتصادية في البلاد، كاستنبول وتحصينات الدردنيل والبسفور. وعيّن المحتلون مندوبيهم الساميين في استنبول وفرضوا الرقابة على الصحافة، ومنعوا التجمعات وأجروا حملات اعتقال للعناصر المناوئة للاحتلال الأجنبي، وأعادوا نظام الامتيازات الذي ألغته الحكومة في بداية الحرب العالمية الأولى، كما فرضوا سيطرتهم على البنوك وسكك الحديد ومؤسسات الدولة، وفرض ضباط جيوش الحلفاء رقابتهم على قيادة الجيش ووزراء الحربية وانهار الجيش التركي[٣].

وتحول السلطان محمد السادس وحكومته إلى أداة بيد الانجليز والفرنسيين، وفي ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٠ تمكنت القوات اليونانية من احتلال مناطق مهمة في الأناضول وشرقي تراقيه، واستغلت الدول الاستعمارية، توغل القوات

---

(١) خيرية قاسمة، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، ص١١٠.

(٢) Stanford J. Shaw, The Jews of the Ottoman Empire and the Turkish Republic (London: Macmillan, 1991) p.225.

(٣) إبراهيم خليل أحمد؛ عبد الجبار غفور؛ خليل علي مراد وآخرون، تركيا المعاصرة (الموصل: جامعة الموصل (مركز الدارسات التركية)، ١٩٨٧، ص٢٥، ٢٦.

اليونانية فاملت معاهدة سيفر (Sevr) في١٠ آب ١٩٢٠[١] على حكومة السلطان[٢].

وطلبت حكومة الداماد فريد من السلطان محمد السادس عقد مجلس الشورى في ٢٢ تموز ١٩٢٠ في قصر يلدز، لكي توّزع المسؤوليات لتوقيع المعاهدة، المسؤولية التي لا سلطان ولا الصدر الأعظم سوف يتحملانها على عاتقهما. وفي المجلس الذي كان يضم خمسين شخصية مختارة تضم الوزراء والشيوخ والعوام، تم اختيار رضا توفيق إلى جانب هادي باشا العمري[٣]، والوزير التركي رشاد خالص[٤]، أعضاء في الوفد العثماني المشارك في مؤتمر السلام.

حضر مفوضو حكومة استنبول مؤتمر السلام كمبعوثين عثمانيين لتوقيع المعاهدة. وفي نفس الوقت يناشدون عاطفة العدالة والإنصاف لدى الحلفاء بقصد إجراء تعديلات عليها، لكن هذا الطلب لم يُبال به، وأجبروا مندوبوا استنبول على توقيع المعاهدة في ١٠ آب ١٩٢٠[٥].

وبموجب هذه المعاهدة حصلت اليونان على تراقية الشرقية باستثناء استنبول والمناطق المحيطة بها، وكانت اليونان تحتل ازمير أيضاً بالرغم من بقائها شكلياً ضمن السيادة التركية، أما منطقة كيليكيا وأجزاء من ولايات مرعش واورفة وعنيتاب فقد انتقلت إلى السيطرة الفرنسية، وخُصّصت أجزاءً من ديار بكر وولاية الموصل للسيطرة الانجليزية، أمّا جنوب غرب الأناضول من قونية وافيون قرة حصار والأشهر فقد خُصصت كمنطقة نفوذ إيطالية، وجُعلت أرمينية الطاشناقية على الولايات الشرقية الواقعة إلى الشمال من خط أرزنجان - موش- بتليس ووان، أما الولايات الشرقية إلى الجنوب من ذلك الخط فقد حصلت على حق إدارة ذاتية مع تكوين دولة كردية تحت الحماية الانجليزية في المستقبل. وتتولى لجنة دولية مهمة الإشراف على منطقة المضايق، يتمتع أعضاؤها بالحصانة الدبلوماسية. وينزع السلاح من المضايق مع إعلان حرية المرور للسفن الحربية والتجارية في وقتي السلم والحرب، مع بقاء استنبول

---

(١) سيفر: واقعة على مقربة من مدينة باريس: إبراهيم خليل أحمد؛ خليل علي مراد، إيران وتركيا: دراسة في التاريخ الحديث المعاصر، (الموصل: دار الكتب، ١٩٩٢) ص٢٣٤.

(٢) إبراهيم خليل أحمد، تركيا المعاصرة، ص ٢٦، ٣٣.

(٣) هادي باشا العمري: (١٨٦٠-١٩٣٢)، العراقي الموصلي الأصل، الذي تولى رئاسة أركان الجيش العثماني، وكان أحد المرشحين لعرش العراق. وقد أوفده مجلس الوزراء للتوقيع على المعاهدة نيابة عن تركية بعد إقرارها. وكان هادي باشا في ذلك الوقت وزيراً للنافعة –الأشغال العامة- وقد غادر تركيا إلى ألبانيا بعد نجاح حركة مصطفى كمال وحُكم عليه بالإعدام غيابياً بسبب توقيعه على هذه المعاهدة: مذكرات رستم حيدر، ص٦٩٠.

(٤) Salahi Ramsdan Sonyel: Turkish Diplomacy (1918-1923) (London: Sage Publications Ltd, 1975) p.82.

(٥) Ibid, p.82

عاصمة للبلاد مع احتفاظ الحلفاء بحق سلخها من جسم الدولة التركية في حالة عدم موافقة الأتراك على بنود المعاهدة. وهكذا كانت معاهدة سيفر تعني إلغاء السيادة التركية(١).

- ردود الفعل حول معاهدة سيفر

أرسلت الحكومة العثمانية في أيار سنة ١٩١٩ مصطفى كمال باشا(٢) إلى الأناضول قائداً عاماً للجيش الثالث المرابط في أرضروم وسيواس لحفظ الأمن والنظام. وما ان وصل مصطفى كمال إلى هاتين الولايتين اللتين كانتا مركزاً لنشاطه، حتى أعلن بأنه لا يمكن أن يقبل هزيمة تركيا. لذلك صمم مع عدد من أنصاره على مقاومة أعمال الحلفاء. كما أخذ يهاجم السلطان محمد السادس وأعضاء حكومته في استانبول، وفي ٢٢ حزيران سنة ١٩١٩ أصدر مصطفى كمال منشوراً من أماسية يدين به حكومة السلطان والصدر الأعظم الداماد فريد باشا، ودعا في المؤتمرين اللذين عقدهما في أرضروم في ٢٣ تموز ١٩١٩ وفي سيواس ٤ أيلول من السنة ذاتها إلى استقلال تركيا ووحدتها(٣).

وفي ١٩ آذار ١٩٢٠ أعلن مصطفى كمال ان الأمة التركية قد شكلت برلمانها الخاص باسم «المجلس الوطني الكبير»، وقد عقد أولى جلساته في أنقرة بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٢٠ وانتخب مصطفى كمال رئيساً له. وقد أقر المجلس عدة قوانين أهمها قانون الخيانة الوطنية الذي عدّ كل من يقف بوجه حكم الشعب خائناً يستحق الإعدام. كما شكل المجلس «محاكم الاستقلال» لتنفيذ الأحكام في القضايا التي تعرض عليها وأبرزها معارضة قرارات المجلس. وفي سنة ١٩٢١ قرر المجلس رفض كل المعاهدات والالتزامات التي أبرمتها حكومة

---

(١) استبدلت هذه المعاهدة بمعاهدة لوزان (Lozan) في ٢٤ تموز سنة 1923 حيث اعترف الحلفاء بهذه المعاهدة باستقلال تركيا السياسي وسيادتها على أراضيها، وانتخب مصطفى كمال أتاتورك رئيساً للجمهورية في ٢٩ تشرين الأول من نفس العام، للمزيد من التفاصيل: ابراهيم خليل أحمد، تركيا المعاصرة، ص٣٣، ٣٤، ٣٩-٤١.

(٢) مصطفى كمال: ولد في سلانيك سنة ١٨٨١، وتوفي باستنبول سنة ١٩٣٨. دخل المدرسة التجهيزية العسكرية بسلانيك، ثم التحق بمثيلتها في استنبول سنة ١٨٩٩، حيث بدأ يهتم بالحياة السياسية ثم أرسل إلى دمشق برتبة رائد، اشترك في الدفاع عن طرابلس عندما غزاها الإيطاليون سنة ١٩١١، ثم عُين ملحقاً عسكرياً ببلغاريا. شارك في الحرب العالمية الأولى في معارك الدردنيل ١٩١٥، وفي فلسطين سنة ١٩١٧، وفي سنة ١٩١٩ عُين مفتشاً للجيش المرابط شمالي أرضروم، وفي سنة ١٩٢٣ انتخب أول رئيس للجمهورية التركية، أشتهر بلقب أتاتورك ويعني أبو الأتراك. للمزيد من التفاصيل انظر إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني، ص٥٩، ٥١.

(٣) إبراهيم خليل أحمد؛ خليل مراد، إيران وتركيا، ص٢٣١، ٢٣٢.



استنبول بعد ١٦ آذار ١٩٢٠ ومنها معاهدة سيفر(١).

وبدأ الأتراك الكماليون يقومون بحركة الانتقام من أولئك الذين وقّعوا معاهدة سيفر، وعلى وجه الخصوص رضا توفيق. فبينما كان في إحدى المرات يُلقي محاضرة عن الآداب التركية في جامعة استنبول، صفر الطلبة صفير الاستهزاء، والسبب الظاهري لهذا الحادث هو أن رضا توفيق تهجم على شعور الوطنيين بقوله أن الشعراء العثمانيين استعاروا أشعارهم من المصادر الفارسية، وما كاد يجهر بذلك حتى انبرى أحد الطلبة الأتراك وقال له: «إنك يا سيدي تُهين تركيا، ثم أدار وجهه في اتجاه الحاضرين» وقال لهم «إن هذا الأستاذ الذي لطخ شرفنا الوطني بتوقيعه معاهدة سيفر، يقترف الآن جريرةً سوداء بإنكاره مصدر الشعراء الأتراك»(٢).

ولما انتهت المحاضرة، عقد طلبة كلية الآداب في استنبول اجتماعاً فوق العادة وأصدروا بإجماع الآراء القرارات التالية:

أولاً: نحن الطلبة- الذين يعدون الجامعة داراً عامة لترقية العلوم والأخلاق- نأسف أشد الأسف لرؤيتنا داخل هذا الدار أشخاصاً أعداء محرومين من كل شعور أدبي، أشخاصاً غرباء عن الشعور الذي تجيش به قلوبنا إزاء استقلالنا الوطني وحقوقنا المقدّسة.

ثانياً: يُعرب الشبان من طلبة هذه الجامعة عن امتعاضهم من هؤلاء الأشخاص الذين صبّ عليهم الضمير الوطني لعناته، والذين تمكنوا مع ذلك من أن يتسللوا إلى دار العلوم والأخلاق.

ثالثاً: تدعو اللجنة رضا توفيق وعلي كمال بك- صحفي مشهور بعدائه للكماليين- إلى الاستقالة، وهي تصارح جميع الطلبة أن يقطعوا كل علاقاتهم معها، ولا يكون ذلك مقصوراً على اعتبارهم أساتذة، ولكنه يتناول أيضاً اعتبارهم وطنيين(٣).

واضطر رضا توفيق، في أعقاب الإضراب الذي قام به الطلبة الذين كانوا يداومون على حضور محاضراته إلى تقديم استقالته سنة ١٩٢١ من جامعة استنبول(٤).

---

(١) إبراهيم خليل أحمد؛ خليل علي مراد، المرجع السابق، ص٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) مجهول، النهضة القومية (مصر: المكتبة المصرية، د.ت) ص١٤٩.
(٣) مجهول، المرجع السابق، ص١٥٠.
(٤) Hilmi Ziya ulken, «Riza Tevfik: filizot ve sair», p41.

كذلك تعرض رضا توفيق لهجوم عنيف بسبب توقيعه على معاهدة سيفر من قِبل «جمعية الخلافة» في الهند في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٢، والتي كانت تؤيد تركيا الكمالية خلال مؤتمر لوزان (الذي انعقد في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ واستمر مع الانقطاع إلى ٢٤ تموز ١٩٢٣) وأرسلت للوفد التركي هذه البرقية:

«إن مسلمي الهند واعون لخدمات وتضحيات الغازي مصطفى كمال باشا، وتركيا الحديثة لأجل القضية الإسلامية. لقد أثر الموقف المعادي والسلبي للحكومة البريطانية في الرأي العام للمسلمين في الهند. إن الخليفة المرتهن تحت الحماية البريطانية والخلافة فقدا احترامهما لدى المسلمين، وفيما يتعلق برضا توفيق ومصطفى صبري، فإن أعمالهما -وقع الأول على معاهدة سيفر، وافتى الثاني بقتل الغازي مصطفى كمال- لهي كافية لفضح ادعائهما بالإخلاص والوطنية وحب الإسلام[١].

أمّا بالنسبة لموقف رضا توفيق من هذه المعاهدة فإنه لم يكن في الحقيقة موافقاً عليها، والدليل على ذلك محاولته مع مندوبي حكومة استنبول التفاوض مع الحلفاء قبل توزيع المعاهدة بقصد تخفيف شروط الصلح، إلا أن محاولاتهم ذهبت أدراج الرياح[٢]. واضطرت حكومة الداماد فريد باشا، والتي كان يشغل فيها رضا توفيق منصب وزير المعارف، إلى توقيع هذه المعاهدة، خشية أن ينفذ الحلفاء تهديدهم بإخراج الأتراك من أوروبا قاطبةً في حل عدم توقيعهم على المعاهدة[٣].

وقد ألف رضا توفيق كتاباً يعتذر فيه عن ذهابه إلى سيفر وتوقيعه معادتها حمل عنوان (لماذا؟ وكيف وقّعوا؟)، ويذكر يوزباشي -صديق رضا توفيق- ان هذا الكتاب إذا نُشر سوف تضاء نقاط كثيرة حول هذا الموضوع، ويُفهم لما أسيء فهم رضا توفيق بهذه الصورة السيئة[٤].

---

(١) Bila'l N. Simsir (Hazirlayan), Lozan Telgraflari (Kasim 1922-subat 1923) (Ankara: Turk Tarihkurumu Basimevi, 1990) cilt 1, No 51, p.144. نص البرقية انظر ملحق رقم (١):
في اليوم الثاني (٢٦-تشرين الثاني) نشرت هذه البرقية في الجريدة الفرنسية المشهورة Le Temps).

(٢) مجهول، النهضة القومية، ص١٠٦.

(٣) Salahi Ramsdan Sonyel, Turkish Diplomacy, p.81.

(٤) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati», pp.7,8.

وفي أعقاب استقالة حكومة الداماد فريد باشا، عُين رضا توفيق سنة ١٩٢١ عضواً في مجلس الأعيان، ثم شغل منصب رئيس مجلس شورى الدولة[١].

هروب رضا توفيق من تركيا

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ اتهم «المجلس الوطني الكبير» السلطان محمد السادس ورضا توفيق بالخيانة وبالاتصال مع الانجليز[٢]. وصدر حكم الاعدام عليهما من بين قائمة المئة والخمسين الذين حُكم عليهم بالاعدام[٣]، فهرب رضا توفيق مع أتراك آخرين إلى مصر ومن هناك إلى مكة المكرمة وأخيراً إلى شرقي الأردن[٤].

ويصف رضا توفيق هروبه من وطنه قائلاً: «خرجت من استنبول بسرعة، لم يكن بحوزتي إلاّ عدة ليرات، في ذلك الوقت كنت أسكن مع زوجتي[٥] وولدي نظيف (Nazif) في حي آق سراي (Aksary)، أحضروا لي وأنا على متن السفينة خمسة وسبعين دولاراً من ابنتي سلمى رقم اثنين المتخرحة من كلية البنات الأمريكية، والعاملة سكرتيرة بها، أخذت زوجتي منها المال وأرسلته لي، لم أجلب ما في بيتي لأنني اعتمدت على النقود التي أخذتها ديناً من سلمى، ولأنني لم أكن أعرف إلى أين أذهب، وإلى أي اتجاه أسير في هذه الآفاق المجهولة[٦].

«ركبت في سفينة تدعى «إجبت» (Egypt)، وهي سفينة سيئة للغاية، أخذت سفينتنا تبتعد عن آفاق استنبول الجميلة، نظرت مرة اخرى إلى مدينتي الجميلة بحسرة، وأيقنت مرة أخرى أنه لا ولن توجد مثل هذه الصورة، نعم كنت أنظر بحسرة إلى تلك الآفاق، وأنا متكئاً على شراع السفينة، لا اعرف كيف خطر على بالي فجأة رباعية تاريخية تقول:

واحسرتاه ما بقيت روحاً في جسدي

---

(١) تقارير جاكوب إسرائيل دي هان عن لقاءاته مع سمو الأمير عبدالله، ج٣، ص٥.

(٢) إبراهيم خليل احمد؛ خليل علي مراد، إيران وتركيا، ص٢٣٧.

(٣) Hilmi Yucebas «Riza Tevfik ve Mayatti», p9.

(٤) القبلة مكة، العدد ٦٣٨، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢، ص٢.

(٥) يقصد زوجته الثانية نازلة، الزوجة الأولى كانت عيشة صديقة هانم، التي ماتت وهي شابة إلى حد ما، للمزيد من التفاصيل عن عيشة صديقة هانم انظر: Fanny Davis, The Ottoman Lady (New York: Greenwook Press, 1986) p.51.

(٦) Riza tevfik, «Riza Tefik, memlketten Nasil ayrildigini anlatiyor». In yuicebas, op. cit, p.173.

ولا يوجد ستارة أخرى سوى كفني القديم

أيها الأحبة الأعزاء، اذكروني فإنني خرجت إلى سفري الطويل

ما بقي احتمال للرجوع بالنسبة إليّ قطعاً

شيء غريب، عندما اكتئبُ أتذكرُ هذه الرباعية فيزداد حزني. أخذت الشمس بالمغيب واسودت المياه، واختفت مباني وطني الجميلة تحت هذا السواد، لم أكن قد فكرت بتجربة الموت بعد وظننت أنه في آخر لحظة من حياة الإنسان يجب أن يرى العالم بمثل هذا المنظر حتى تفارقه روحه»(١).

وصل رضا توفيق -رئيس مجلس الشورى- إلى الاسكندرية في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ مع رجال استنبول الفارين وهم مصطفى صبري شيخ الإسلام سابقاً، سليمان شفيق ناظر الحربية، زين العابدين عضو مجلس الأعيان، مصطفى نامق محافظ استنبول، محمد علي بك مدير دار الأوقاف الإسلامية في استنبول، حسن تحسين مدير البوليس العام في استنبول، عابدين بك من أشراف الترك، محمد زكي كاتب أول مشيخة الإسلام باستنبول، حلمي فوزي رئيس بلدية استنبول، إبراهيم بك مفتش البلدية، القائممقام أدهم بك، شعبان بك من كبار ضباط المقاعدين، أمر الله أفندي أحد مدرّسي مدرسة دار الخلافة، وغير هؤلاء أربعة عشر شخصاً آخرين ومعهم عائلاتهم جميعاً. وقد استقبلهم الجمهور استقبالاً ما كانوا يودّونه، حيث ألقيت عليهم القاذورات بالطرق وكانوا ينادونهم بالخونة، بسبب معارضتهم لمصطفى كمال، لذلك كانوا مستائين جداً من هذه المقابلة(٢).

بعد ثلاثة أيام قضاها رضا توفيق في الاسكندرية تحرك إلى القاهرة ويصف رضا توفيق رحلته قائلاً: «وأخيراً وصلنا إلى الاسكندرية، ونزلت في بنسيون لمدة ثلاثة أيام، ثم تحركت إلى القاهرة، ونزلت في فندق صغير أظن أن صاحبه من يهود ألمانيا وخطر في بالي أثناء إقامتي في القاهرة أن ألبس زيّاً بدوياً وأتجول حراً فيها، وهكذا فعلت. ثم ما لبثت أن أخبرني أحد الأصدقاء من سوريا برجوع الأمير عبدالله من انجلترا، فسررت كثيراً، لأنني كنت مع الأمير عبدالله زملاء في مجلس المبعوثان. لقد تشرفت بمعرفته عندما كان شاباً، كنت أقيم في البسفور في حي بيبك ارناؤوط كوي (Bebekte ve Arnavutkoyunde**)، وهو كان يقيم في منطقة اميرجان، تعرفت عليه من خلال بعض الأصدقاء. في ذلك الوقت وجدت القبول والترحاب من الأمير عبدالله لهذا كنت أزوره معظم أيام الجمع»(٣).**

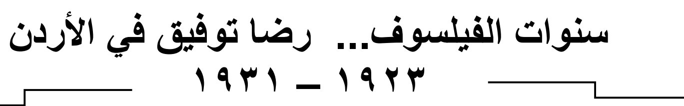
ويتابع رضا توفيق كلامه عن لقائه مع الأمير عبدالله:

---

(١) Riza Tevfik, «Riza Tefvfik, memlketten nasil ayrilbigini anlatiyor», pp.173- 174.

(٢) القبلة، العدد (٦٣٩)، ٢٧ –تشرين الثاني- ١٩٢٢. ص٣.

(٣) Riza Tevfik, «Riza Tevfik, Memlketten Nasil Ayrilbigini Anlatiyor», p176.




«وعندما علمت بنبأ رجوعه، جهّزت نفسي للقائه، وكان ينزل في (الزيتونة) قصر ممثلي الحجاز بجوار القاهرة، حينما رآني استقبلني بوجه بشوش، وتكلمت معه لأول مرة في مصر بلهجة استنبولية وعندما غادر حضرة الأمير القاهرة دعانا لزيارة الحجاز، وبعد ثلاثة أيام اجتمعنا في السويس، وركبنا السفينة، كان الفصل شتاءً، إلا أن الجو كان لطيفاً، والبحر الأحمر هادئاً، وفي أوقات الصلاة كان حضرة الأمير يأمر خادمه أن يمد السجادة، وكان يأم فينا، وبعد الصلاة كان يُجهز الشاي بإبريق من الفضة، كنا نشربه ونحن جالسون فوق السجادة. لقد جرت العادة عند شعب الحجاز أن يشربوا الشاي من خمسة إلى عشر فناجين صغيرة، ونحن تعودنا هذا أحياناً أتبادل النكات مع البدو الذين كانوا في خدمة الأمير»[١].

بقي رضا توفيق في الحجاز، إلى أن استدعاه الأمير عبدالله عندها قدم إلى شرقي الأردن لتبدأ رحلة جديدة في حياة رضا توفيق، والتي سوف أتناولها في الفصل الثاني.

---

(١) Riza Tevfik, Op. cit, pp. 176-177.

الفصل الثاني

مسؤوليات ونشاطات رضا توفيق

في شرقي الأردن (١٩٢٣-١٩٣١)

- وصول رضا توفيق إلى شرقي الأردن

-عضوية المجمع العلمي العربي

- رئاسة مجلس المعارف

-إدارة الصحة العامة

-نظارة العدلية بالوكالة

-المشاركة في حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية

- توقيع المعاهدة الأردنية –البريطانية

- نشر القانون الأساسي لشرقي الأردن

- تأسيس المجلس التشريعي الأول

- منح امتياز (روتمبرغ) لاستغلال الثروة الطبيعية في شرقي الاردن

-إدارة الآثار

-مشاركة رضا توفيق في المؤتمر الإسلامي الثاني

مسؤوليات ونشاطات رضا توفيق

في شرقي الأردن ١٩٢٣-١٩٣١

وصول رضا توفيق إلى شرقي الأردن

توجه رضا توفيق من الحجاز إلى شرقي الأردن ماراً بفلسطين[١]، وقد حطّ أولى رحالة تحت خيام الغور في الشونة في نيسان سنة ١٩٢٣، وقد مكث فيها أربعين يوماً، ساكناً إلى حياة الوحدة والعزلة[٢]، ثم رحل إلى عمان حيث عهد إليه الأمير عبدالله منصب ترجمان في الديوان العالي، الذي استمر فيه حتى سنة ١٩٣٤[٣]، وفي ٢٥ أيار سنة ١٩٢٣ شارك رضا توفيق إلى جانب الأمير عبدالله في الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة إعلان استقلال شرقي الأردن الإداري[٤].

عضوية المجمع العلمي العربي:

ساهم رضا توفيق لما يتمتع به من مكانة علمية مرموقة في تأسيس أول مجمع علمي في شرقي الأردن[٥]، وذلك في ١٧ تموز سنة ١٩٢٣، وكما ورد في كتاب رئيس الديوان الأميري إلى رئيس الوكلاء فقد كان الهدف منه «رغبة لإحياء الآثار القومية ورفع منار المعارف العربية» وقد صدرت حينئذ إرادة صاحب السمو الملكي بتأسيس هذا المجمع العلمي برئاسة سماحة الشيخ سعيد الكرمي[٦] وعضوية الفيلسوف رضا توفيق. والأستاذ اللغوي الشيخ

---

(١) فلسطين، العدد ٥٧٠-١٢، ١٣ نيسان ١٩٢٣، ص٣.
(٢) رضا توفيق، التفاؤلية والتشاؤمية في الحياة والسفر، ص٨.
(٣) سليمان موسى، إمارة شرقي الأردن: نشأتها وتطورها في ربع قرن (١٩٢١-١٩٤٦)، (عمان: لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٠) ص١٩١.
(٤) الشرق العربي، العدد ١، ٢٨ أيار ١٩٢٣، ص١.
(٥) المجمع العلمي العربي ثاني مجمع يؤسس في الوطن العربي، بعد المجمع العلمي العربي بدمشق الذي تأسس سنة ١٩١٩: عبدالكريم خليفة، مجمع اللغة العربية الأردني: نشأته وانجازاته (١٩٧٦، ١٩٩٣)، رسالة المعلم، بديل العددين الثاني والثالث، المجلد الرابع والثلاثون (عمان: وزارة التربية والتعليم، أيلوك/١٩٩٣) ص٥٨.
(٦) سعيد الكرمي: ولد في طولكرم عام ١٨٥٢، أتم دراسته في الأزهر الشريف، وبعد تخرجه عُين مفتشاً للمعارف في قضاء بني صعب (طولكرم) وفي أواخر العهد العثماني

مصطفى الغلاييني[١] والاستاذ رشيد بقدونس[٢]

ومدير الجريدة الأديب محمد الشريقي[٣] ليكونوا أعضاء عاملين ينتخبون إخوانهم من الأعضاء الفخريين في الأقاليم العربية كافة ليكون ذلك عاملاً قوياً من عوامل أحكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد كما أن الأعضاء العاملين يكوّنون في الوقت نفسه هيئة إدارية لمصلحة الآثار برئاسة رضا توفيق، وقد أقرّ سموه بإنشاء مجلة علمية باسم مجلة «المجمع العلمي العربي في الشرق» على أن يقوم بشؤونها أعضاؤه العاملون وأن يُنفق على إنشائها من واردات الجريدة والمطبعة الرسمية[٤].

ألقي القبض عليه لانتماءه (لحزب اللامركزية العثماني) وأفرج عنه بعد عامين، عُين نائباً لرئيس المجمع العلمي العبي في دمشق، ثم جاء إلى عمان حيث عُين قاضياً للقضاة وعضواً لمجلس المستشارين ورئيساً لمجلس المعارف. شغل منصب قاضي القضاة في عمان حتى ١٩٢٦ ثم عاد إلى مسقط رأسه وبَقي فيها حتى لحق ربه عام ١٩٣٥. للمزيد من التفاصيل انظر:

يعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين (عمان: وكالة التوزيع الأردني، ١٩٨٧) ص٥٢٦.

(١) مصطفى الغلاييني: (١٨٨٦-١٩٤٥) كاتب وشاعر عربي، ولد في بيروت، ورحل إل مصر فتتلمذ على يد الشيخ محمد عبده. أصدر مجلة «النبراس» في بيروت، ومارس التعليم. أقام مدة في عمان معلماً لأبناء الأمير عبدالله، ثم عاد إلى بيروت عام ١٩٢٤ حيث عُين رئيسًا للمجلس الإسلامي وقاضياً شرعياً من كتبه «الاسلام وروح المدنية» «ديوان الغلاييني». للمزيد من التفاصيل انظر: شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسّرة، المجلد الثاني، ص١٢٥٧.

(٢) رشيد بقدونس: (؟-١٩٤٣)، مولده ووفاته في دمشق.
تخرج من المدرسة الحربية في استنبول، كان يتقن عدة لغات، كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، له مقالات علمية في مجلة «المقتبس» وغيرها: خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الثالث (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠) ص٢٤.

(٣) محمد الشريقي: (١٨٩٨-١٩٧٠) أتم دراسته في مدينة اللاذقية، وتابع دراسته الثانوية في دمشق فبيروت فالاستانة درس في الجامعة المصرية (كلية الآداب). ثم عاد إلى دمشق وتحول إلى دراسة الحقوق. نزح إلى شرقي الأردن سنة ١٩٢٢ حيث انتخب أمين سر لمجلس المستشارين، ثم تولى إدارة المطبعة وجريدة «الشرق العربي» سنة ١٩٢٣. شغل منصب وزير الخارجية ثم المالية والاقتصاد والعدلية ثم وزارة المعارف ثم رئاسة الديوان الملكي، ثم عضوية مجلس الأعيان، وشغل منصب سفير الأردن في كل من أفغانستان والباكستان والهند وتركيا. من أهم آثاره «الحقوق الدستورية» «أغالي الصبا». للمزيد من التفاصيل انظر: محمد أبو صوفة، من أعلام الفكر والأدب في الأردن (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٣) ص٤٣٠، ٤٣١.

(٤) الشرق العربي، العدد ٩، ٢٣ تموز ١٩٢٣، ص٢.

وقد أصدر المجمع في ١٧ أيلول ١٩٢٣ بياناً نُشر في جريدة «الشرق العربي» تضمن عدة أهداف منها إحياء اللغة العربية في البلاد، إنشاء مدارس للأيتام والفقراء، إلقاء محاضرات عامة في ندوة المجمع[١]. وقد تبرع رضا توفيق لمكتبة المجمع العلمي بمجموعة كتبه التي لم تكن تقل عن ثلاثة آلاف مجلد[٢]. هذا وقد قوبل تأسيس هذا المجمع بالترحاب من قِبل عامة الشعب والمثقفين على حد سواء، وقدمت له عدة مقترحات، كان من بينها وضع كتاب مدرسي يحوي موقع بلاد شرقي الأردن الجغرافي، الطبيعي ومتضمناً الحوادث التاريخية والسياسية والعمرانية[٣].

ثم قررت الهيئة الإدارية للمجمع في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٣ اختيار السادة: أحمد زكي باشا[٤] والشيخ أحمد عباس[٥] ومحمد كرد علي[٦] والأب

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأهداف انظر: الشرق العربي، العدد ١٧، ١٧ أيلول ١٩٢٣، ص٢، ٣، ٤.

(٢) منيب الماضي؛ سليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين (عمان: د.ن، ١٩٥٩) ص٢١٠.

(٣) الكرمل، العدد ١٠٩٩، ٨ نيسان ١٩٢٥، ص٣.

(٤) أحمد زكي باشا: (١٨٦٦-١٩٣٤) عالم لغوي، ومؤرخ عربي. ولد بالاسكندرية، وتعلم في القاهرة، واشتغل مترجماً، فمعلماً، فأميناً عاماً لمجلس الوزراء المصري، كان من رواد البحث العلمي في التراث العربي القديم. من المخطوطات التي حققها «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري «والتاج في أخلاق الملوك» للجاحظ: شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسّرة. المجلد الاول، ص٦١.

(٥) أحمد عباس: (١٨٥٣-١٩٢٧) مولده ووفاته في بيروت. مصري الأصل تعلم بالأزهر، بدأ حياته مدّرساً تولى إدارة مدرسة المقاصد الخيرية ببيروت، ثم أنشأ الكلية الإسلامية، التي كان لها أثر كبير في تربية روح اليقظة العربية الحديثة، أقفلت خلال الحرب العالمية الأولى، ونفي إلى استنبول، بقي فيها فترة ثم عاد إلى بيروت، له كتب مدرسية منها «تاريخ آداب اللغة العربية»: خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الأول، ص١٤٢.

(٦) محمد كرد علي: (١٨٧٦-١٩٥٣) عالم لغوي وأديب سوري. كردي الأصل، رحل في شبابه إلى مصر وتتلمذ على يد محمد عبده، شارك في تحرير «المقتطف»، «المؤيد»، ثم عاد إلى دمشق بعد إعلان الدستور العثماني وأصدر صحيفة «المقتبس» عُين رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ١٩١٩، ومن كتبه «خطط الشام» و«الإسلام والحضارة العربية»: غربال، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص١٤٥٠.

انستاس الكرملي(١)، وإسعاف النشاشيبي(٢) أعضاء شرف فيه(٣). وقد شارك رضا توفيق في اجتماع المجمع العلمي الأول الذي عُقد بتاريخ ٢٦ آب ١٩٢٣ في ديوان مديرية المعارف العامة برئاسة سعيد الكرمي، وقرر المجمع عدة قرارات منها: نشر بيان عن خططه التي سيسير عليها، والغاية من تأسسه. وقد قرر الأعضاء أن ما يصدر عن المجمع العلمي أو ما يُنشر في مجلته يجب أن يقرّه المجمع نفسه(٤).

إلا أن المجمع لم يثمر ثمراته المرجوّة، وكان آمالاً سرعان ما تبدّدت(٥). فبعد أن عقد عدة جلسات وقرر بعض المصطلحات الرسمية المعمول بها حتى اليوم في دواوين الحكومة الأردنية اعتبر منحلاً لتغييب الأعضاء وإلغاء جهاز المطبعة والجريدة الرسمية واللوازم، حيث كانت منشورات هذا المجمع وأعماله العلمية منوطة بدائرة الجريدة الرسمية التي كانت في عهدة الاستاذ محمد الشريقي آنذاك(٦). ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى فشل هذا المشروع أن الأمير عبدالله كان منصرفاً إلى تأسيس دولة دون الاعتماد على مصادر مالية ثابتة كافية تساعد على تحقيق كل ما يريد من مقومات ثابتة للدولة(٧).

---

(١) انستاس الكرملي: ولد في بغداد سنة ١٨٦٦، وتلقى دروسه الأولية فيها، ولما بلغ العشرين ذهب إلى بيروت حيث درس اللغة العربية واللاتينية واليونانية عند الآباء اليسوعيين ثم سافر إلى بلجيكا حيث ابتدأ حياة الرهبنة. ذهب إلى نيس/ فرنسا لتعلم الفلسفة، ثم عاد إلى بغداد واستلم إدارة مدرسة الآباء الكرمليين، درّس فيها للغة العربية إلى وقت الحرب، وفي سنة ١٩١١ أصدر مجلة شهرية اسمها «لغة العرب». نُفي إلى قيسرية في بر الأناضول سنة ١٩١٤: فلسطين، العدد ١٤٧-٢١٠٥، ٢١ آب ١٩٣٢، ص٤.

(٢) اسعاف النشاشيبي: (١٨٨٢-١٩٤٨) ولد في القدس، التحق بكتاتيبها، وبعد أن اكمل دراسته الابتدائية انتقل إلى دار الحكمة بيروت، وفي الحرب العالمية الأولى عُين استاذاً للعربية في المدرسة الصلاحية التي أنشأها القائد التركي أحمد جمال باشا في القدس. ومن مؤلفاته: ١- أمثال أبي تمام، نشرها تباعاً في مجلة النفائس سنة ١٩١٢. ٢- مجموعة النشاشيبي، طبعت سنة ١٩٢٢. ٣- البستان، طبع سنة ١٩٢٧:
حسن صالح عثمان؛ حامد أحمد الشوبكي، رجالات مع الملك عبدالله (عمان: وزارة الثقافة، ١٩٩٥) ص١٥٣.

(٣) الشرق العربي، العدد٢٥، ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٣، ص٢.

(٤) الشرق العربي، العدد ١٥، ٣ أيلول ١٩٢٣، ص٢.

(٥) هذا المشروع بُعث من جديد بعد ما يزيد عن نصف قرن، ليتم إنشاء المجمع اللغوي ومجلته سنة ١٩٧٦: سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرقي الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة ١٩٤٨، (عمان: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٨١) ص٢٣.

(٦) يعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص٥٢٩.

(٧) محمود العابدي وآخرون، ثقافتنا في خمسين عاماً (عمان: دائرة الثقافة والفنون، ١٩٨٠) ص٢٤٠.

رئاسة مجلس المعارف

عُين رضا توفيق في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ عضواً في مجلس المعارف –مع احتفاظه بمنصبه كمدير للآثار- إلى جانب مدير الأشغال عوني القضماني، ومحمد الشريقي كذلك السادة مصطفى الغلاييني وسعيد المفتي وطاهر الجقة[١]. وفي ١٧ كانون الأول من نفس العام انتخب مجلس المعارف رضا توفيق رئيساً له باتفاق الآراء[٢]، بالإضافة إلى عضويته ضمن الهيئة العلمية التابعة لمجلس المعارف والتي تولى من خلالها الإشراف على امتحانات المدرسة التجهيزية في السلط[٣].

لقد ساهم رضا توفيق من خلال رئاسته لمجلس المعارف مساهمة فعّالة في وضع حجر الأساس للجهاز الإداري للنظام التربوي في شرقي الأردن، فقد أصدر في ١ حزيران سنة ١٩٢٥ أول نظام للمدارس حدّد بموجبه وظائف المديرين والمعلمين والمفتشين وكذلك واجبات التلاميذ والعقوبات التي تُفرض عليهم، كما حدّد أيام العطل الرسمية[٤]، وترجم قانون التدريس الابتدائي الذي كان معمولاً به في الدولة العثمانية، والذي نص على إلزامية التعليم الابتدائي وعلى أن يكون في المدارس الحكومية بدون أجر[٥].

ونظراً لمغادرة قسم من أعضاء مجلس المعارف شرقي الأردن عائدين إلى بلادهم، وتخلّف القسم الآخر عن الدوام منتظماً على جلساته فقد تم إلغاءه في ٢٨ تموز سنة ١٩٢٦، وصدر قانون جديد نص على تشكيل «مجلس المعارف الاستشاري» شارك به رضا توفيق ممثلاً عن دائرة الآثار، إلى جانب مدير المعارف، واحد مفتشي المعارف ومفتش الصحة ومدير الزراعة أو أحد معاونيه الزراعيين وأحد المعاونين الفنيين في إدارة النافعة ـ الأشغال العامة- وقاضي العاصمة الشرعي، على أن ينتخب المجلس التنفيذي رئيساً لهذا المجلس من بين أعضائه، وقد انحصرت وظيفة هذا المجلس في الأمور العلمية والفنية المتعلقة بالمدارس، كذلك وضع برامج المدارس، وسن الأنظمة الداخلية والتعليمات العامة لها، وانتخاب الكتب، وإبداء الرأي في الأنظمة والقوانين المتعلقة بالتدريس، وتعين طريقة فحص المعلمين والمعلمات، واقتراح الأنظمة التي تؤدي لهذا الغرض وعرضها على المجلس التنفيذي[٦].

---

(١) الشرق العربي، العدد ٢٧، ٣ كانون الأول ١٩٢٣، ص٣.
(٢) الشرق العربي، العدد ٢٩، ١٧ كانون الأول ١٩٢٣، ص٢.
(٣) الشرق العربي، العدد ٥٦، ٢ حزيران ١٩٢٤، ص٢.
(٤) لمزيد من التفاصيل انظر: الشرق لعربي، العدد ١٠٦، ١ حزيران ١٩٢٥.
(٥) للمزيد من التفاصيل عن هذا القانون انظر: الشرق العربي، العدد ١٢٧، ١ أيار ١٩٢٦.
(٦) الشرق العربي، العدد ١٣٤، ١٥ آب ١٩٢٦، ص٥٢.
المجلس التنفيذي قام مقام مجالس المشاورين سنة ١٩٢١، و(المستشارين) سنة ١٩٢٢، و(الوكلاء) سنة ١٩٢٣، و(النظار) سنة ١٩٢٤، ولاعضائه صلاحية أعضاء كافة المجالس الآنفة الذكر: الكرمل، العدد ١١٩٣، ١٨ تموز ١٩٢٦، ص٤.



هذا ولم يُعمّر (مجلس المعارف الاستشاري) طويلاً، فقد أُلغي في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٩ وتشكل عوضاً عنه لجنة إحصائية برئاسة مدير المعارف وعضوية مفتش المعارف، ومديري المدارس الثانوية، ومن ينسبه مدير المعارف من الأساتذة الاختصاصيين[١].

إدارة الصحة العامة

رغم تعدّد الوظائف التي تولاها رضا توفيق، إلاّ أنه بقي في كل مرة محتفظاً بمنصبه كمدير للآثار العامة، ففي ٧ حزيران سنة ١٩٢٤ عُيّن رضا توفيق مديراً للصحة العامة[٢]. ومن خلال وظيفته الجديدة هذه كان يتولى مهمة معاينة دوائر الحكومة قبل استئجارها[٣]، وكتابة تقارير عن أحوال شرقي الأردن الاجتماعية والاقتصادية[٤].

كذلك كان رضا توفيق يقوم بجولات تفقدية للقرى والمدن، لدراسة شؤونها الصحية وآثارها، حيث زار مدينة إربد وأعجب بالمدرسة التي بناها أهلها هناك، وزار الحصن فوجد في أهلها ذكاءً طبيعاً للرقي على حد تعبيره، وتفقد العاصمة عمان وكتب مقالة عن أوضاعها الصحية جاء فيها ما يلي: «ولا يزال الأولاد في عمان يدرسون في محلات لا تستحق هذا اللقب المقدس لما هي عليه من عدم الانتظام وقباحة الترتيب وضررها للصحة العامة، وإنني أخطرت صاحب المحل عدة مرات لفرش أرض الغرفة بالترابة الافرنجية (شمنتو) وتبيض جدرانها بالكلس ولكنه لم يفعل شيئاً من ذكل حتى الآن، مع أن الحكومة أيدها الله تدفع سنوياً أجرة باهظة لهذه المحال القذرة، ولو فكرت في بناء مدرسة بهذه الأجور لأمكن إنشاء مدرسة شاهقة بأجرة هذه المحلات لبضع سنين»[٥].

وفي أواخر سنة ١٩٢٤ ترأس رضا توفيق لجنة لوضع مشروع ترخيص الحرف والصناعات إلى جانب مدير المطبعة الرسمية ومدير الزراعة والحراج[٦]، وقد استمر رضا توفيق مديراً للصحة العامة حتى تشرين الأول سنة ١٩٢٥ حيث تخلى عن وظيفته هذه للدكتور حليم أبو رحمة لكي يتفرغ لمديرية الآثار[٧].

---

(١) الجريدة الرسمية، العدد ٢١٥، ١٦ كانون الثاني- ١٩٢٩، ص٦.
(٢) الشرق العربي، العدد ٥٧، ٩ حزيران ١٩٢٤، ص٢.
(٣) الشرق العربي، العدد ١٠٣، ١١ أيار ١٩٢٥، ص١.
(٤) الشرق العربي، العدد ٥٤، ١٩ أيار ١٩٢٤، ص٢.
(٥) الشرق العربي،العدد ٥٨، ١٦ – حزيران- ١٩٢٤، ص٣ أنظر ملحق رقم (٢).
(٦) الشرق العربي، العدد ٨٢، ٨-كانون الأول- ١٩٢٤، ص٢.
(٧) فلسطين، العدد ٨٢٠-٦٣-، ٢٠ - تشرين الأول- ١٩٢٥، ص٢.

نظارة العدلية بالوكالة

لقد أثبت رضا توفيق كفاءته في المناصب التي تولاها، لذلك أُوكلت إليه في ١ نيسان سنة ١٩٢٦ وكالة نظارة العدلية، بعد أن قدّم إبراهيم هاشم ناظر العدلية استقالته[١]، على أن يكون رضا توفيق عضواً استثنائياً في مجلس النّظار[٢]. وقد استمر في وظيفته هذه حتى ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٦ عندما استقالت حكومة الركابي وشُكلت حكومة جديدة برئاسة حسن خالد أبو الهدى، حيث أُوكل منصب ناظر العدلية وقاضي القضاة للشيخ حسام الدين جار الله[٣]. وقد تولى رضا توفيق هذا المنصب ثانية في الفترة الواقعة بين ١١ آب حتى ١٩ آب سنة ١٩٢٨ بسبب تغيب قاضي القضاة ونائب العدلية حسام الدين جار الله عن البلاد[٤].

المشاركة في حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية

وأهم منصب تولاه رضا توفيق كان في ٢٦ حزيران سنة ١٩٢٦، عندما عُين محافظاً للآثار في حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية، إلى جانب كل من الشيخ حسام الدين جار الله (ناظر العدلية وقاضي القضاة)، عارف العارف (سكرتيراً عاماً) عبد الرحمن غريب[٥] (مدير النافعة) والن كركبرايد[٦] Alen Kirkbride (مستشاراً مالياً)[٧]. وقد شارك رضا توفيق أعضاء هذه الحكومة في وضع برنامجها، وأولى الآثار جُل اهتمامه حيث جاء فيه أن الحكومة ستعنى عناية خاصة بالمحافظة على الآثار القائمة في شرقي الأردن، وذلك لمصلحة البلاد والعلم والحضارة[٨].

---

(١) هاني سليم خير، السجل التاريخي المصوّر للسلطتين التشريعية والتنفيذية في الأردن (١٩٢٠-١٩٩٠) (عمان: ملجس الأمة، ١٩٩٠) ص٤٨٨.
(٢) الشرق العربي، العدد ١٢٧، ١ أيار ١٩٢٦، ص١٥.
(٣) الشرق العربي، العدد ١٣١، ٢٧ حزيران ١٩٢٦، ص١.
(٤) الشرق العربي، العدد ١٩٦، ١٢ آب ١٩٢٨، ص١.
(٥) خرج عبدالرحمن غريب وهو موظف مستعار من حكومة فلسطين من المجلس في ١٧ نيسان ١٩٢٧ وحل محله إبراهيم هاشم الذي عُين آنذاك مديراً للخزينة: عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣) ص١٨١.
(٦) لم يدم وجود الن كركبرايد في المجلس التنفيذي طويلاً، ففي ١١ ايلول ١٩٢٦ خرج منه وحل محله مدير المعارف السيد أديب وهبة: عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، ص١٨١.
(٧) أوراق عارف العارف، ملف رقم (٢)، مرفق رقم (١٣)، ٢٦ حزيران ١٩٢٦، ص١.
(٨) المصدر نفسه والصفحة.

أمّا أبرز الأحداث السياسية التي شارك بها رضا توفيق كونه عضواً في حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية فتمثلت فيما يلي:

أولاً: توقيع المعاهدة الأردنية – البريطانية:

اختارت حكومة شرقي الأردن في عام ١٩٢٦، وبإيحاء من دار الاعتماد البريطاني[١] لجنة لإعادة النظر في قانون الانتخاب. فما كان منها إلا أن أقرّت القانون القديم الذي وضع في سنة ١٩٢٣ مع بعض التعديلات الطفيفة، فلم ترض سلطات الانتداب عن القانون الجديد، فعطّلته، وتقدمت عوضاً عنه، بمشروع المعاهدة الأردنية -البريطانية[٢].

وقد تم توقيع المعاهدة في القدس في ٢٠ شباط ١٩٢٨، وقعها حسن خالد أبو الهدى عن شرقي الأردن واللورد بلومر Plumer المندوب السامي في فلسطين عن بريطانيا، وبتاريخ ٢٦ آذار ١٩٢٨ نُشر نص هذه المعاهدة رسمياً[٣] كان مشروع المعاهدة مترجماً عن الانجليزية ترجمة سقيمة مضطربة، اضطرت الحكومة الأردنية بعد نشره إلى الاتصال بالمندوب السامي (بلومر) لإعادة الترجمة. والتي تمت بالفعل في ٣ كانون الأول سنة ١٩٢٩، وهذا من جملة الدلائل أن المعاهدة فرضت فرضاً على الحكومة الأردنية دون مذاكرة أو مفاوضة[٤].

تضمنت المعاهدة جوانب إيجابية وجوانب سلبية، ونستطيع أن نلمس الجوانب الإيجابية فيما يلي:

١- **إن المعاهدة وضعت شرقي الأردن في وضع الدولة ذات الكيان المعترف به وباستقلاله دولياً، المادة (١).**

---

(١) تألفت الإدارة المركزية في شرقي الأردن في ١١ نيسان سنة ١٩٢١، وعلى أثرها حضر إلى عمان المندوب السامي البريطاني على فلسطين وشرقي الأردن السير هربرت صموئيل (Sir Herbert Samuel)، وألقى خطاباً رسمياً أمام رؤساء العشائر واعيان المنطقة، أشار فيه بأن حكومته خططت لتأسيس إدارة منفصلة عن فلسطين إلى أن يصبح الأردنيون قادرين على حكم أنفسهم في المستقبل، وحدد الدور البريطاني في تدريب وتقديم النصح للموظفين المحليين، وقام بتعيين جليوس ابرامسون J. Abramson معتمداً بريطانياً لمساعدة الأمير في الإشراف على سير الإدارة الجديدة، وبناء على ما سبق بدا الأمير عبدالله يمارس مع «مجلس المشاورين» سلطته التنفيذية، تحت إشراف المندوب السامي في القدس وممثله في عمان، وبدأ الانجليز يسيطرون على البلاد بصورة موظفين توزعوا على الوظائف المختلفة في دوائر الحكومة بحجة المساعدة، وبدأوا يحكمون البلاد من وراء ستار ويتدخلون في كل أمر، للمزيد من التفاصيل انظر:
Naseer H. Aruri, Jordan: A Study in Political Development (1921-1965) (Netherlands: Martinvs Nijhoff, the Hague, 1972) pp.24, 25, 26.

(٢) علي المحافظة، تاريخ الأردن المعاصر: عهد الإمارة (١٩٢١-١٩٤٦)، (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩) ص٦٥.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن بنود المعاهدة انظر: الشرق العربي، العدد ١٨٤، ٢٦ آذار ١٩٢٨، ص١-٩.

(٤) منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٢٧٩.

٢- إن المعاهدة نصّت على أن أمير شرقي الأردن يتولى سلطتي التشريع والإدارة في الإمارة عن طريق حكومتها الدستورية، المادة (٢).

٣- إن المعاهدة فصلت الحدود بين شرقي الأردن عن فلسطين، إذ نصّت على أن فلسطين تقع إلى الغرب من خط مرسوم من نقطة تبعد ميلين غرب مدينة العقبة على الخليج المسمّى بذلك الاسم وصعوداً في منتصف وادي عربة والبحر الميت ونهر الأردن حتى ملتقاه بنهر اليرموك، ومن ثم منتصف ذلك النهر حتى التخوم السورية، وهذا وضع حداً لمطالبات الصهيونيين ومزاعمهم بأن فلسطين تعني البلاد الواقعة إلى الغرب من نهر الأردن وإلى الشرق منه، المادة (٢).

٤- إن المعاهدة نصت على وضع قانون أساسي (دستور) للبلاد، المادة (٢).

٥- إن بريطانيا تتعهد بتقديم معونة مالية لشرقي الأردن[١]، المادة (١٢).

أما الجوانب السلبية فتمثلت بالقيود التي كبّلت بها الدولة المنتدبة استقلال الإمارة الناشئة، ومن بين تلك القيود:

١. أن تخضع جميع القوانين والأنظمة لموافقة بريطانيا، المادة (١٣).
٢. أن تخضع ميزانية البلاد ونفقاتها لرقابة بريطانيا، المادة (٦).
٣. أن تحتفظ بريطانيا بقوات مسلحة لها في البلاد، المادة (١٠).
٤. أن تكون بريطانيا مسؤولة عن صلات شرقي الأردن الخارجية، المادة (٥).
٥. أن تحتمل الخزينة الأردنية نفقات دار الاعتماد البريطاني، وسدس نفقات قوة حدود شرقي الأردن[٢]، المادة (١١).

ثانياً: نشر القانون الأساسي لشرقي الأردن:

تعود البدايات الأولى لوضع قانون أساسي للبلاد إلى سنة ١٩٢٣، حين تم تأليف لجنة تحضيرية للقانون الأساسي شارك رضا توفيق بها إلى جانب السادة عوني قضماني وعمر زكي وعبدالسلام كمال وعارف العنبتاوي وسامي السراج، وعبدالسلام السندروسي، ووضعت اللجنة لائحة القانون الأساسي،

---

(١) سليمان موسى، إمارة شرقي الأردن، ص١٩٣؛ علي محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص١٧٥-١٨١.
(٢) سليمان موسى، إمارة شرقي الأردن، ص١٩٣..

غير أن السلطات البريطانية قاومت هذه التدابير والخطوات، لأنها تقف حجر عثرة في سبيل هيمنتها على الإدارة[١].

وصدر القانون الأساسي في ١٦ نيسان ١٩٢٨، وكان نشره من قبل حكومة الانتداب ومستمداً من روح المعاهدة دون أن يكون لأهل البلاد رأي في وضعه، ولقد عرضت حكومة الانتداب مشروع القانون الأساسي[٢] على سمو الأمير والمجلس التنفيذي اللذين ارتأيا إدخال تعديلات عليه في أن «الأمير يعقد المعاهدات بشرط أن لا تنفذ أية معاهدة قبل مصادقة المجلس التشريعي عليها». ولكن وزير المستعمرات أصرّ على أن تحتفظ بريطانيا بحق عقد المعاهدات نيابة عن شرقي الأردن، وأدخلت على هذا القانون فيما بعد جملة من التعديلات. ولا شك أن كثيرين من ذوي الرأي في شرقي الأردن استأنسوا بالقانون الأساسي أكثر من المعاهدة، ورأوا فيه باباً لصون الكرامة الوطنية، والسعي في المستقبل لتخفيف قيود المعاهدة[٣].

ويشير عارف العارف ـ السكرتير العام في حكومة حسن خالد أبو الهدى- إلى أن هذا القانون من وضع وزارة المستعمرات في لندن، وقد أرسلوه للمجلس التنفيذي فوقعة الأعضاء ومن بينهم رضا توفيق دون أن تتاح لهم الفرصة في تعديل أي بند من بنوده[٤].

ثالثاً: تأسيس المجلس التشريعي الأول:

نصّت المواد (٢٥-٤١) من القانون الأساسي على أن يُؤلّف في شرقي الأردن مجلس تشريعي، وقد عيّنت هذه المواد صلاحيات المجلس ورسمت الخطوط التي يسير عليها. والواقع أن فكرة تأسيس مجلس تشريعي أو مجلس نواب كانت دائماً وأبداً في ذهن الأمير ورجال حكومته منذ إنشاء الإمارة. ففي

---

(١) علي محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص٦٥.
(٢) جاء القانون الأساسي في ٧٢ مادة، موزعة على مقدمة وسبعة فصول، أما المقدمة فقد اشتملت على ثلاث مواد، نصت الأولى على التعريف بالقانون والثانية بالعاصمة والثالثة بالراية الأردنية. وقد بيّن الفصل الأول حقوق الشعب الأردني والجنسية والمساواة وحرية الراي، كما نص على أن الإسلام دين الدولة، واللغة العربية هي اللغة الرسمية، أما الفصل الثاني فتناول حقوق الأمير. واختص الفصل الثالث بالتشريع وشروط الترشيح لعضوية المجلس التشريعي، واختصر الفصل الرابع على القضاء، بينما تعلق الفصل الخامس بالإدارة من حيث تعين الموظفين والتقسيمات الإدارية لإمارة شرقي الأردن، واشتمل الفصل السادس على إلغاء القوانين العثمانية المعمول بها قبل تأسيس إمارة شرقي الأردن، واحتوى الفصل الرابع على مواد شتى كالضرائب والأوقاف. للمزيد من التفاصيل انظر: العدد ١٨٨، ١٩ نيسان ١٩٢٨. ص١-١٤.
(٣) أوراق عارف العارف، ملف رقم (٢) المرفق رقم (١١٢)، ١٦ نيسان- ١٩٢٨، ص١.
(٤) المصدر نفسه والصفحة.



عام ١٩٢٣ وافق سمو الأمير على تأليف لجنة منتخبة من ممثلي الشعب حيث اجتمعت برئاسة ناظر العدلية إبراهيم هاشم ووضعت قانون لانتخاب المجلس النيابي، تبنّته الحكومة وصدرت إرادة الأمير بالمصادقة عليه، ونُشر في ملحق العدد (٥٢) من الجريدة الرسمية، وبموجبه تقرر الدعوة لانتخاب مجلس نيابي(١).

وقد قطعت الحكومة شوطاً في الاستعداد للانتخابات، حتى تم إعداد قوائم الناخبين في حزيران ١٩٢٤، ولكن الانتقاص من استقلال البلاد في آب ١٩٢٤ أدّى إلى طرح الموضوع جانباً، لكنه عاد للظهور مرة أخرى في عام ١٩٢٦، لكن لم يوضع موضع التنفيذ إلا في سنة ١٩٢٨، باعتباره خطوة لاحقة لعقد المعاهدة ونشر القانون الأساسي(٢).

وُقّعت المعاهدة في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ونُشر القانون الأساسي في ١٦ نيسان من نفس العام، وكان لابد من مصادقة هيئة اهلية على هاتين الوثيقتين، فبادرت حكومة حسن خالد إلى إبطال العمل بقانون الانتخاب السابق، ونشرت بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٢٨ قانوناً جديداً لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي، على أن يكون عددهم ستة عشر عضواً، ينتخبون انتخاباً على درجتين، وقد روعي في هذا القانون تمثيل الأقليات (الجركس والمسيحيين والبدو)(٣).

ورغم الضجة العنيفة والمعارضة الشديدة التي أثارها جانب كبير من الأهالي، فإن الحكومة مضت في تنفيذ خططها لإجراء الانتخابات، وكان اهتمام الناس محصوراً في قضية تصديق العاهدة التي قوبلت بعِداء بالغ في شرقي الأردن، ذلك لأن مصير المعاهدة كان مُعلقاً بتصديق المجلس التشريعي عليها أو عدم مصادقته.

وقد جرى البحث الجدي من قبل الأمير وحكومته مع المسؤولين الإنجليز لإجراء تعديل على المعاهدة، لكن الإنجليز أصرّوا على موقفهم بأن تُعرض كما هي على المجلس، فإما أن تصدّق وتُقبل، وإما أن تُرفض، وعندئذ يجري النظر مجدداً في مستقبل البلاد. كان موقف الأمير ورجال حكومته واضحاً، فقد تكون المعاهدة شراً، ولكنه شر لابد منه، والخوف على مستقبل البلاد إذا رفضت المعاهدة جعلتهم يجدّون في الدعوة للانتخابات. ومهما يكن من أمر فقد أجريت وانقعد المجلس التشريعي الأول يوم الثلاثاء ٢ نيسان ١٩٢٩(٤).

---

(١) علي محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص٦٥.
(٢) سليمان موسى، إمارة شرقي الأردن، ص١٩٦.
(٣) منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٢٨٣.
(٤) الماضي؛ موسى، المرجع نفسه، ص٢٨٥.

رابعاً: منح امتياز (روتمبرغ)[١] لإستغلال الثروة الطبيعية في شرقي الأردن:

طلبت الحكومة الإنجليزية عام ١٩٢٤ رسمياً حق الاستثمار بمنح الامتيازات واستغلال الثروة الطبيعية في شرقي الأردن، وقد رفض الأمير ذلك باعتبار أن مثل هذا الأمر هو حق من حقوق الشعب يجب أن ينظر فيه المجلس النيابي[٢].

وفي عهد وزراة حسن خالد تمت الموافقة على امتياز يُعدُّ من أخطر الامتيازت التي مُنحت باسم شرقي الأردن، ذلك هو الامتياز الممنوح لشركة الكهرباء الفلسطينية المحدودة الضمان المشهورة باسم مؤسسها بنحاس روتمبرغ (Pinhas Reutenberrg). وكانت الحكومة البريطانية قد وعدت روتمبرغ بمنحه الامتياز عام ١٩٢١ ثم صادق عليه وزير خارجيتها والمندوب السامي على فلسطين اللورد بلومر في ٥ آذار ١٩٢٧، وهذا الامتياز يمنح الشركة حق استخدام نهري الأردن واليرموك لتوريد وتوليد وتوزيع القوة الكهربائية داخل فلسطين وشرقي الأردن ومدته سبعون سنة[٣].

ويشير جاكوب إسرائيل دي هان في أحد تقاريره عن لقائه بالأمير عبدالله إلى «إن الأمير عبدالله لم يُعط حقوق لروتمبرغ في شرقي الأردن ولا شك في أن شرقي الأردن بحاجة إلى الإنسان ورأس المال، ولن يستثنى أحد من المشاركة بسبب يهوديته، ولكن لا يستطيع أحد أن يتوقع من أمير عربي أن يدعم خططاً تقود إلى هيمنة سياسية لليهود على العرب»[٤].

قوبل منح الامتياز بمعارضة شديدة وسخط بالغ في شرقي لأردن، وسار الشيوخ إلى عمان واجتمع فيها شيوخ الكرك ومقاطعة إربد ومعان وعشائر البلقاء، وامتاز شيوخ بني صخر بأن أرسلوا اختامهم بكتب للحكومة وأخرى لدار الاعتماد يحتجون بها بلهجة شديدة على بيع أراضي البلاد لليهود ويعلنون للحكومة بأنهم لا يعترفون بأي امتياز يُمنح قبل تأسيس مجلس نيابي في البلاد حائز لكافة شروط المجالس النيابية، فاحتجت الحكومة بأن هذا الأمر تبتُ فيه دار الاعتماد، فذهب شيوخ إلى المعتمد البريطاني ورغبوا في مقابلته لمناقشته في مشروع روتمبرغ، وقد صرّح لهم المعتمد في هذه المقابلة أن مشروع روتمبرغ اتفاق أبرمته وزارة المستعمرات، مع روتمبرغ، وأن البلاد مستقلة

---

(١) روتمبرغ: مهندس يهودي روسي الأصل، شغل منصب وزير الشرطة في حكومة كيرنسكي، وهي الحكومة الأولى التي جاءت في أعقاب الثورة الروسية، جاء إلى فلسطين كصاحب امتياز ومدير لشركة الكهرباء الفلسطينية: الكرمل، العدد ١٦٤٥، ٢٧ ـكانون الثاني- ١٩٣٢، ص٤.

(٢) الماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٢٨٥.

(٣) الماضي؛ موسى، المرجع نفسه، ص٢٧٨.

(٤) تقارير جاكوب إسرائيل دي هان عن لقاءاته مع سمو الأمير عبدالله، ج٣، ص٦.

استقلالاً إدارياً داخلياً فقط، وأن هذا الاستقلال مصادق عليه من عصبة الأمم، ولم يجرب الشيوخ الاحتكاك بدار الاعتماد مرة ثانية(١).

ورفع مصطفى وهبي التل(٢) احتجاجاً على مشروع روتمبرغ وقال أن ما بيع هي أراضٍ أميرية، وصرح المشايخ أن مصطفى وهبي التل إنما يتكلم بلسان أهالي شرقي الأردن(٣)، وهاجم مصطفى وهبي رضا توفيق على صفحات جريدة «الكرمل»، على الرغم من الصداقة القوية التي جمعت بينها والتي انفرط عقدها بمشاركة رضا توفيق أعضاء حكومته في التوقيع على مشروع روتمبرغ(٤).

وفي ١٥ نيسان ١٩٢٧ قامت مظاهرات وقدمت احتجاجات كثيرة من أهالي إربد، مما دفع الحكومة إلى إرسال رضا توفيق برفقة عارف العارف إلى إربد، لتهدئة الخواطر القلقة بسبب مشروع روتمبرغ، ويبدو أن هذه الزيارة كانت محاولة استطلاعية للوقوف على حقيقة الأمر تمهيداً لفرض الأحكام العرفية(٥).

هذه نظرة سريعة لأهم منجزات حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية، والتي كان لرضا توفيق دور فيها، بصورة غير مباشرة، كونه عضواً في المجلس التنفيذي، وفي الصفحات التالية سوف أتناول دوره ونشاطه على وجه الخصوص كمحافظ للآثار في هذه الحكومة.

---

(١) الكرمل، العدد ١٢٣١، ١٧ نيسان ١٩٢٧، ص٤، ٥.

(٢) مصطفى وهبي التل: (١٨٩٩-١٩٤٩)، ولد في مدينة إربد وتلقى تعليمه الابتدائي فيها. ثم سافر إلى دمشق لاستكمال دراسته الثانوية عام ١٩١٢. والتحق بمدرسة (غبر)، إلا أنه انتقل بصورة اضطرارية إلى حلب حيث أنهى دراسته الثانوية في مدرستها التجهيزية عام ١٩١٨. ويعتقد أن سبب تنقله بين هذه المدارس هو اشتراكه الدائم في الأحداث والحركات الوطنية القومية. عمل في بدء حياته العملية معلماً في مدينة الكرك عام (١٩٢٢). ثم معلماً في ثانوية إربد. في عام (١٩٢٣) عُين حاكماً لبلدة وادي السير. وفي عام (١٩٢٤) عُين معلماً في مدرسة إربد، ثم حاكماً إدارياً لناحية الزرقاء. وفي عام (١٩٢٥) عين حاكماً إدارياً لبلدتي الشوبك ووادي موسى. عُين (١٩٢٤) مديراً لمدرسة الحصن الابتدائية، وظل في عمله هذا حتى ١٩٢٨ حيث أبلغ بعزله عن العمل. وفي أوائل ١٩٣٠ نال إجازة الحقوق فاشتغل بالمحاماة. وفي عام ١٩٣٣ عُين رئيساً لكتّاب محكمة إربد، ثم مأموراً للإجراء في عمان، ثم رئيساً لكتاب الاستئناف. وفي (١٩٣٦) عُين مدعياً عاماً في السلط ثم مساعداً للنائب العام فمفتشاً في وزارة المعارف (١٩٤٠) فرئيساً للتشريفات في الديوان العالي (١٩٤٠)، ثم متصرفاً للواء البلقاء (١٩٤٢) وكان هذا المنصب آخر العهد لمصطفى حسن صالح عثمان؛ حامد أحمد الشوبكي، ص١٨٩، ١٩٠.

(٣) علي محافظة، الفكر السياسي في الأردن: وثائق ونصوص (١٩١٦-١٩٤٩)، الجزء الثاني (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٩٠)، ص٢١١.

(٤) الكرمل، العدد ١٢٣٢، ٢٤ نيسان ١٩٢٧، ص٣. انظر الملحق رقم (٣).

(٥) الكرمل، العدد ١٢٣٢، ٢٤ نيسان ١٩٢٧، ص٣.

وقد بقي هذا الامتياز ساري المفعول حتى ١٧ آذار ١٩٥٤، عندما قررت الحكومة الأردنية إلغاء قانون امتياز الكهرباء الفلسطيني رقم ٩ لسنة ١٩٢٨ والذيل الملحق به: منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٢٧٩.

إدارة الآثار

كانت مصلحة الآثار حتى عام ١٩٢٣ مرتبطة بمديرية المعارف، وفي أيلول من هذه السنة صدر قانون بفصلهما وتأليف دائرة الآثار «تقي آثار البلاد من الاندثار وتجمع ما تبعثر منها في جوانب المنطقة وأيدي الأهلين». وتقرر أن ترتبط هذه الدائرة برئاسة الوكلاء، وأن تتألف من مدير وأمين ومحافظ، وقد اختير رضا توفيق مديراً لها، وقد ألحقت بهذه الدائرة مصلحة السياحة(١).

وتأسست بالفعل دائرة الآثار في شرقي الأردن سنة ١٩٢٤ كجزء من دائرة آثار فلسطين، وتعهدت حكومة الانتداب بالصرف عليها، وعهدت إلى المهندس جورج هورسيفيلد (George Horsefield) بصيانة الآثار فيها. وفي سنة ١٩٢٥ بدأت أعمال الصيانة في جرش وفي القلعة الصليبية بالكرك، ثم امتدت أعمال الصيانة في السنة التالية إلى قلعة الربض في عجلون، وفي تلك السنة صدرت أول نشرة عن آثار شرقي الأردن(٢).

وقد لعب رضا توفيق دوراً فاعلاً كمدير للآثار تمثل في حضور المؤتمرات، ومرافقة علماء الآثار في جولاتهم لشرقي الأردن. ففي ٢١ نيسان سنة ١٩٢٦ شارك رضا توفيق في مؤتمر الآثار الذي عقد في مدرسة (سان إيتان للآثار الدومينكان) في القدس بحضور المندوب السامي والسكرتير العام وحاكم القدس والمنطقة الجنوبية بالإضافة إلى رواد الآثار من أمريكا ودول أوروبا المختلفة، حيث ألقوا محاضرات في مواقع شتى(٣).

وبعد أن انتهى المؤتمر من أعماله غادر أعضاؤه إلى شرقي الأردن برفقة رضا توفيق حيث طاف بهم في جرش ومعان ووادي موسى والمشتى والموقر ومأدبا بالإضافة إلى تفقد آثار مدينة عمان. وقد كانت هذه الزيارة وسيلة للتعارف بين علماء الآثار ومقدمة لتحقيقات أثرية في المستقبل(٤).

ومن هذه التحقيقات الأثرية ما قام به أحد علماء الآثار البريطانيين في منطقة البتراء، حيث تمكن في شباط سنة ١٩٢٧ من اكتشاف حُلي وقطع ذهبية قديمة جداً، تتألف من عروة ذهبية كريتية، تعود بعهدها إلى أقدم الأزمنة التاريخية وسواها من القطع التي لا تعادلها قيمة من الوجهة التاريخية، مما شجع المتحف البريطاني على إرسال بعثة للتنقيب في البتراء(٥).

وبفضل جهود رضا توفيق في تشجيع البعثات الأثرية للقدوم إلى المنطقة فقد تمّ الكشف عن الكثير من الآثار. وعلى سبيل المثال لا الحصر، عُثر في طلول جرش على رأس حجري قيل إنه تمثال رأس السيد المسيح - عليه السلام-

(١) الشرق العربي، العدد ١٦، ١٠ أيلول ١٩٢٣، ص٢، ٣.
(٢) محمود العابدي، ثقافتنا في خمسين عاماً، ص٩.
(٣) فلسطين، العدد ٨٦٩-١٥، ٢٣ نيسان ١٩٢٦، ص٥.
(٤) الشرق العربي، العدد ١٢٧، ١ أيار ١٩٢٦، ص١٧.
(٥) فلسطين، العدد ٩٤٨-٩٤، ١١ شباط ١٩٢٧، ص٥.

، وقام رضا توفيق بإعارته للمتحف البريطاني حيث يوجد خبراء اخصائيون يقومون بدراسته من الوجهتين الفنية والتاريخية، لكنه اشترط أن تكون حقوق صنع القوالب محفوظة لحكومة شرقي الأردن، وأن يُعاد الرأس إليه بعد سنة واحدة(١).

ومنح رضا توفيق تصريحاً «للجمعية الإيطالية العلمية في الشرق» لسنة كاملة بُدء العمل فيه بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٧ لإجراء حفريات في قلعة عمان، ضمن مسافة محدودة لها في الخريطة. وهي تحتوي على البناء المعروف بالقصر الساساني، تحت إشراف الدكتور - جاكومو غويدي Giacomo Cuidi. وقد اشترط رضا توفيق على هذه الجمعية أن تجري الحفريات تحت إشراف الحكومة، وأن تراعى فيها شروط قانون مصلحة الآثار في شرقي الأردن، وهنا يظهر مدى حرص رضا توفيق على الآثار التي يتم اكتشافها في هذه المنطقة، وعدم السماح بتسربها إلى الخارج(٢). وكان هدف الجمعية الإيطالية من التنقيب، العثور على مدينة فيلادلفيا الإغريقية، وربة عمون (عمان القديمة)، وقد عثرت على آثار بيزنطية وعربية(٣).

كذلك تم اكتشاف بقايا كنيسة بيزنطية في جرش دلّت هذه البقايا على أنها بُنيت سنة ٤٩٢م، وكُرّست للقديس ثيودور الجندي الذي قتل سنة ٣٠٦م، ومن خواصها وجود ثلاثة أروقة في جانبها الشرقي، تفضي درجاتها إلى ساحة فيها فسقية، كذلك وجد بين البقايا مزلاج نحاسي كبير، وتحف أخرى صغيرة(٤).

وفي سنة ١٩٢٨ انفصلت شرقي الأردن في إدارتها عن حكومة الانتداب في فلسطين ونتيجة لذلك أُحدثت دائرة مستقلة للآثار في إمارة شرقي الأردن وأوكلت إدارتها لرضا توفيق، الذي كان يكتب تقاريره بالتركية ثم تُترجم إلى العربية، وبقي هورسفيلد مفتشاً، وخصص لها مبلغ ضئيل من مخصصات الإمارة. وقد اتخذت هذه الدائرة مقراً لها في البناية التي تقوم على الطرف الشرقي من المدرج الروماني وكانت تتألف من خمس غرف تشغلها المكاتب، ولم يبق متسع لعرض التحف الأثرية(٥). وعلى الرغم من ان رضا توفيق سعى

---

(١) الشرق العربي، العدد ١٥٢، ١٥ آذار ١٩٢٧، ص٥.
(٢) محمود العابدي، الحفريات الأثرية في شرقي الأردن (١٩٢٦-١٩٢٧) (عمان: د.ت، ١٩٦٤) ص٣.
(٣) الجامعة العربية، العدد ٩٦، ٢ كانون الأول ١٩٢٨، ص٢.
(٤) فلسطين، العدد ٢٠-١٠٨٠، ١١ أيار ١٩٢٨، ص٥.
(٥) محمود العابدي، ثقافتنا في خمسين عاماً، ص٩.

منذ ١٤ تشرين الأول ١٩٢٥ لتأسيس متحف لجمع الآثار، إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح(١) لعدم توفر الامكانيات المادية(٢).

لذلك تم الاتفاق بين حكومة شرقي الأردن وحكومة الانتداب في فلسطين، على أن تُرسل القطع الأثرية التي تخص حكومة شرقي الأردن إلى متحف فلسطين، لتعرض فيه وتكون إدارة المتحف المذكور مؤتمنة عليها، في حين تحتفظ حكومة شرقي الأردن حسب رغبتها بحق استرداد قطع أثرية يكون قد أوتمن عليها متحف فلسطين وعرضت فيه(٣).

وقد تمكن رضا توفيق في هذه الفترة من تأليف كتاب قيّم عن النقود العربية، وقد تيّسر له اقتناء مجموعة ثمينة من هذه النقود. نشرت رسومها في كتابه الذي طبعه في الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الانجليزية(٤).

استمر رضا توفيق مديراً للآثار حتى ١١ أيلول ١٩٢٨، حيث حلّ توفيق أبو الهدى- مدير تسجيل الأراضي آنذاك- محلهُ بسبب سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية(٥). وفي ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٩ اعتبر مستقيلاً من منصبه بسبب انقضاء مدة إجازته وعدم رجوعه إلى وظيفته، وعُين علاء الدين طوقان بدلاً منه(٦).

قضى رضا توفيق سنة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى البلاد في ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٩، وفي ٢٣ كانون الأول من نفس العام عيّنه الأمير عبدالله تُرجماناً في الديوان الأميري(٧). وتشاء الصدف أن تلعب دورها، فهذا أول منصب تسلمه رضا توفيق عندما وصل إلى شرقي الأردن وآخر منصب له، حيث استمر فيه حتى أحيل على المعاش في مطلع آب سنة ١٩٣٠، وقد عيّن له الأمير عبدالله راتباً شهرياً على سبيل التقاعد نظراً للخدمات السابقة التي قدمها لحكومة شرقي الأردن(٨).

---

(١) ظهر هذا المتحف إلى حيز الوجود في ٩ أيار ١٩٥١، حيث كلفت الحكومة الأردنية المهندس البريطاني هريسون (Harrison) -واضع تصميم المتحف الأثري الفلسطيني في القدس- بوضع التصميم اللازم لمتحف الآثار المزمع إقامته على جبل القلعة بعمان: محمود العبادي، المرجع نفسه، ص١٣.
(٢) مقابلة أجريتها مع المؤرخ سليمان موسى، الأحد ١٩ أيلول ١٩٩٣.
(٣) وزارة الثقافة والإعلام، الأردن في خمسين عاماً (١٩٢١-١٩٧١)، (عمان: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٢) ص٢٣٣.
(٤) فلسطين، العدد ٤٣-١١٠٣، ٣١ تموز ١٩٢٨، ص٤.
(٥) منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٢٧٣.
(٦) الجريدة الرسمية، العدد ٢٤١، ٢١ تشرين الأول ١٩٢٩، ص٢.
(٧) الكرمل، العدد ١٤١٨، ٢٤ كانون الأول ١٩٢٩، ص٤.
(٨) الجامعة العربية، العدد ٤٢٠، ٦ آب ١٩٣٠، ص٢.



اختار رضا توفيق جونية بلبنان ليقضي بقية حياته في مكان هادئ بعيداً عن الضوضاء[١]، إلا أنه لم ينقطع عن زيارته لشرقي الأردن بين الحين والآخر بحكم الصداقة التي كانت تربطه بأميرها. ففي ٥ كانون الأول سنة ١٩٣٤ قدم إلى شرقي الأردن لمشاركة الأمير عبدالله بزفاف نجله الأمير طلال[٢]. وفي آذار من نفس العام رافق الأمير عبدالله في زيارته إلى آل الضامن في غور الجفتلك[٣].

لقد حظيَ رضا توفيق بمكانة خاصة لدى الأمير عبدالله وكان ملازماً له في جميع المناسبات لذلك كان يأتي الناس إليه ليتوسط لهم عند الأمير في بعض الأمور، حتى بعد مغادرته شرقي الأردن، فعلى سبيل المثال سعى رضا توفيق في سبيل إعادة الحرية في دخول عبدالرحيم جرادنة - وهو فلسطيني من نابلس يعمل صيدلي في عمان- إلى البلاد في آذار سنة ١٩٣٤، وذلك بعد أن قررت الحكومة إبعاده عن المنطقة[٤].

---

(١) يعقوب العدوات، عرار شاعر الأردن، (عمان: د.ن، ١٩٥٨) ص٢٦٦.
(٢) فلسطين، العدد ٢١-٢٥٩٤، ٢٤ آذار ١٩٣٤، ص٢.
(٣) يقع في الجهة الغربية من نهر الأردن، يحدُه غرباً نابلس وشرقاً نهرالأردن وطوباس شمالاً.
فلسطين، العدد ١٦-٢٥٨٩، ١٨ آذار ١٩٣٤، ص٢.
(٤) الجامعة العربية، العدد ١٣٠١، ٢١ آذار ١٩٣٤، ص٥.

مشاركة رضا توفيق في المؤتمر الإسلامي الثاني[١]

انبثقت فكرة عقد المؤتمر من خلال نتائج هبة البُراق ١٩٢٩[٢]، وما ظهر خلالها من أطماع يهودية في الأماكن المقدسة وما أحاط بلجنة البراق[٣] وتحقيقاتها وقراراتها من ظروف وملابسات. وتداول الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس مع الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي ملابست الحادث، ثم اتسعت الفكرة فتناولت قضية فلسطين برمتها على اعتبار أنها قضية إسلامية ومن الواجب تنبيه العالم الإسلامي إليها وتبصيره بالأخطار المحدقة بها ودعوته إلى القيام بواجبه نحوها[٤].

افتتح المؤتمر أولى جلساته في ٧ كانون الأول ١٩٣١ في القدس، وقد حضرته وفود من (٢٢) دولة إسلامية[٥]، وقد بلغ عدد المشاركين في المؤتمر (١٤١) مشاركاً منهم (٣٩) مشاركاً من شرقي الأردن و(٥٠) مشاركاً من فلسطين و(٥٢) من بقية الدول الإسلامية[٦]، إضافة إلى الأفراد الذين قاموا بخدمات جليلة وأعمال أفادت الفكرة الإسلامية، علمية كانت أم أدبية أم

---

(١) على اعتبار أن الأول عُقد في القدس في اليوم الأول من تشرين الثاني سنة ١٩٢٨، واستنكر فيه العرب أي محاولة ترمي إلى أحداث أي حق لليهود في البراق. للمزيد من التفاصيل انظر: عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، (يافا: مكتبة فلسطين الحديثة، ١٩٧٣). ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) كانت المظاهرة الصهيونية حول المسجد الأقصى في ١٥-آب سنة ١٩٢٩، هي التي فجّرت هذه الثورة في مواجهة المطالب الصهيونية بنزع مكان البراق من أيدي العرب، وحمل الثوار العرب السلاح في مواجهة كل من الحركة الصهيونية وسلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، ونجحت بريطانيا في إخماد الثورة بقوة السلاح. وأمام اضطراب الأحوال أرسلت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق (لجنة شو) بالإضافة إلى لجان أخرى، ورفعت هذه اللجان تقاريرها كاشفة النقاب عن المآسي السياسية والاقتصادية التي كانت تنزل بالعرب، وصدر بعد ذلك الكتاب الأبيض وهو يشتمل على بعض من المطالب العربية، ولم تكن تقارير هذه اللجان، وكذا الكتاب الأبيض إلا مجرد خدعة سرعان ما قامت الحكومة البريطانية بسحب ما جاء فيهما من وعود أمام الرفض الصهيوني لها، لذلك عُقد هذا المؤتمر للدفاع عن القدس. للمزيد من التفاصيل انظر: احمد يوسف القرعي، دبلوماسية القمة الإسلامية وتحديات العمل المشترك، مجلة السياسة الدولية، العدد ٨٧ (كانون الأول/١٩٨٧)، ص١٣٦، ١٣٧.

(٣) كان رضا توفيق من بين الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم أمام هذه اللجنة، في ١٦ تموز ١٩٣٠: مذكرات أكرم زعيتر (بواكير النضال) (١٩٠٩-١٩٣٥)، (بيروت: المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ١٩٩٤)، ص١٨٤.

(٤) احمد فهد بركات الشوابكة، محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية (عمان: دار عمّار، ١٩٨٩) ص٣٤٩.

(٥) للاطلاع على أسماء هذه الدول انظر: عبدالعزيز الثعالبي، خليفات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٩٣١، (بيروت: دار لعرب الإسلامي، ١٩٨٨) ص٣٣٩.

(٦) محمد عبدالقادر خريسات، الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية، (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١) ص١٧٦.

اجتماعية، أم سياسية[١]. ومن هذا المنطلق وجهت الدعوة لرضا توفيق للمشاركة في هذا المؤتمر، أي أنه لم يكن يمثل شرقي الأردن بشكل رسمي والدليل على ذلك عدم ذكر اسمه بين أعضاء الوفد الأردني المشارك في المؤتمر الإسلامي[٢].

وتشير خيرية قاسمية في مقالها «المؤتمر الإسلامي العام ١٩٣١» إلى أن رضا توفيق قد شارك في المؤتمر ممثلاً عن الأتراك الكماليين[٣]، إلا أن هذا القول ليس صحيحاً والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: وقفت الجمهورية التركية من فكرة المؤتمر موقفاً معادياً، حتى أن سفيرها في لندن خاطب الحكومة البريطانية بهذا الخصوص، كما أنها امتنعت عن المشاركة فيه، لاعتقادها أن المؤتمر يهدف إلى إعادة استخلاف الخليفة العثماني عبدالمجيد[٤].

ثانياً: رفض قنصل تركيا في فلسطين حضور حفلة تعارف أُقيمت لمندوبي الدول المشاركة حتى لا يقال إن حكومته اشتركت في المؤتمر[٥].

ثالثاً: طلب قنصل تركيا إنزال علم تركيا الذي كان معلقاً بين الأعلام في قاعة المؤتمر، لأن تركيا غير مشتركة في المؤتمر فأنزلوه[٦].

رابعاً: كان رضا توفيق من بين المغضوبين عليهم من قبل رئيس الجمهورية التركيا مصطفى كمال أتاتورك، وحُكم عليه بالإعدام غيابياً - كما مر معنا في الفصل الأول- فكيف بعد هذا تختاره الحكومة التركية ليمثلها؟!.

وقد تشكلت في المؤتمر ثمان لجان، لبحث الشؤون التي عُرضت عليه وتقديم التقارير الوافية عنها بعد دراستها وهي:

لجنة الدستور، لجنة الدعاية والنشر، لجنة المالية والتنظيم، لجنة الثقافة

---

(١) الثعالبي، المصدر السابق، ص٢٦٨.
(٢) لمعرفة أعضاء الوفد الأردني انظر: الجامعة العربية، العدد ٧١٩، ٧ كانون الأول ١٩٣١، ص٣.
(٣) خيرية قاسمية، المؤتمر الإسلامي العام في القدس (١٩٣١) محاولة للبحث عن نصير، مجلة دراسات تاريخية العدد ١٩ (نيسان/١٩٨٥)، ص٤٨؛ وليد الخالدي، قبل الشتات: التاريخ المصدر للشعب الفلسطيني (١٨٧٦-١٩٤٨) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧) ص١٠٧.
(٤) احمد فهد بركات الشوابكة، محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، ص٣٥٠.
(٥) فلسطين، العدد ٢٢٢-١٨٨٩، ٩ كانون الأول ١٩٣١، ص٣.
(٦) فلسطين، العدد ٢٢٤-١٨٩١، ١١ كانون الأول ١٩٣١، ص٣.

وجامعة المسجد الأقصى، لجنة السكة الحديدية الحجازية، لجنة الأماكن المقدسة والبراق الشريف، لجنة الدعوة والإرشاد، لجنة المقترحات(١)، وقد انتخب رضا توفيق عضواً في كل من لجنة «الدعوة والإرشاد» ولجنة «الدعاية والنشر» (٢).

وفي الجلسة الرابعة للمؤتمر الإسلامي العام أُنتخب رضا توفيق نائباً لرئيس لجنة »الدعوة والإرشاد» السيد رشيد رضا(٣)، وقدّم مع أعضاء هذه اللجنة في جلسة المؤتمر العامة تقريراً ملخصاً من عدة مقترحات، أهمها: تأليف جمعية باسم «جمعية الدعوة والإرشاد الإسلامية» يكون لها كلية خاصة تكون إحدى كليات الجامعة الإسلامية التي قرر المؤتمر السعي لإنشائها في القدس لتخريج طائفتين من العلماء إحداهما تخصّص لإرشاد المسلمين على اختلاف أجناسهم إلى حقيقة الإسلام بالتعليم النظامي السهل والتربية الدينية العملية الموافقة لحالة العصر، والثانية لأجل دعوة غير المسلمين إلى الإسلام(٤).

كذلك طالبت مقترحات اللجنة بتكليف بعض العلماء بالكتاب والسنة ومسائل الاجماع والمذاهب الإسلامية. تأليف رسائل في عقائد الإسلام وآدابه وفضائله وعباداته وتاريخ نشأته، تكون وسيلة لإحياء روح الدين ومقاومة الإلحاد والزندقة في عامة المسلمين وتحقيق الأخوة الإسلامية على أكمل وجه ممكن، ويتوخى منها أن تقتصر على المسائل الاجتماعية عند جميع أهل المذاهب الإسلامية لتكون مقبولة عند جميع المسلمين تمهيداً لجمع كلمتهم وأن تكون في منتهى السهولة في العبارة والأسلوب وأن يكون الكلام في آداب الإسلام وفضائله مقروناً مما لها من التأثير في الأعمال النافعة من شخصية ومنزليه واجتماعية، وان يقتصر في العبادات على الكليات المجمع عليها، كما طلبت المقترحات من المؤتمر الاستعانة بأعضائه ثم بلجانه التي تؤلف له ثم بجمعيات الشبان المسلمين وغيرها من الجمعيات الإسلامية على نشر هذه الرسائل في جميع الشعوب الإسلامية بعد ترجمتها بلغاتها الراقية. وكان من آخر مقترحات اللجنة مطالبة المؤتمر باتخاذ الوسائل التمهيدية لتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الإسلامية، لما في ذلك من فائدة في فهم الدين ووحدته عليها(٥).

وفي الجلسة السادسة للمؤتمر قدّم رضا توفيق وأعضاء لجنة (الدعاية والنشر) تقريراً خلاصة المطالب التالية:

---

(١) عبدالعزيز الثعالبي، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٩٣١،ص٣٤١.
(٢) قاسمية: المؤتمر الإسلامي العام في القدس، ص٣٠، ٥١؛ فلسطين، العدد ٢٢٢-١٨٨٩، ٩ كانون الأول ١٩٣١، ص٤.
(٣) فلسطين، العدد نفسه والصفحة.
(٤) خيرية قاسمية، المؤتمر الإسلامي العام في القدس، ص٣٠.
(٥) خيرية قاسمية، المؤتمر الإسلامي العام في القدس، ص٣٠.

أولاً: العمل على إنشاء مكتب رئيسي بالقدس لنشر الدعاية لمقاصد المؤتمر الإسلامي في أنحاء العالم.

ثانياً: أن تُنشأ مكاتب كفروع له في البلدان الأخرى.

ثالثاً: أن تتصل هذه المكاتب بالمكتب الرئيسي مباشرة.

رابعاً: أن أعضاء المؤتمر أعضاء طبيعيون بالمكتب الرئيسي وله ان يعتمدهم في الفروع التي ينشئها.

خامساً: يقوم كل مكتب بنشر الدعاية للمؤتمر بالوسائل الآتية : إنشاء مجلة، إلقاء الخطب والمحاضرات وعقد الاجتماعات، تأليف الكتب، إنشاء المدارس، استخدام السينما والتصوير وغيرها من الوسائل مع مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية.

سادساً: تقدم مكاتب الدعاية تقارير عن أعمالها إلى المكتب الرئيسي كل ستة أشهر مرة ويجوز التعجيل في الأحوال الاستثنائية.

سابعاً: يضع المكتب الرئيسي تقريراً سنوياً يشتمل على خلاصة أعماله وأعمال المكاتب الأخرى ليوزع على الجماعات والصحف الإسلامية وغيرها وينشر(١).

واحتدم النقاش بين أعضاء المؤتمر حول مركز الدعاية، فاقترح رضا توفيق أن يكون في القدس، لأنها محط أنظار رجال الدين الثلاثة الكبرى، فوافق أعضاء المؤتمر على اقتراحه(٢).

كذلك ساهم رضا توفيق في مناقشات المؤتمر حول تقرير لجنة (الثقافة والجامعة الإسلامية) وكان مؤيداً لفكرة إنشاء جامعة إسلامية تُعلم اللغة العربية من مناهلها بالإضافة إلى لغات أخرى(٣). وكانت القرارات التي تبناها المؤتمر حول الجامعة تنص على أن تكون دينية وعلمانية في منهجها، وأن تُقدم التعليم الثانوي والعالي معاً للوقوف بوجه المدارس الثانوية غير الإسلامية كما تقرر أن ينفذ المشروع على مرحلتين تبدأ المرحلة الأولى بجمع المال اللازم، وبعد ذلك يتقرر بالتشاور مع مجموعة من الخبراء أمور تنظيمها من وجهة النظر التعليمية(٤).

---

(١) عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص١٧٩.
(٢) فلسطين، العدد ٢٢٤-١٨٩١، ١١ كانون الأول ١٩٣١، ص٥.
(٣) فلسطين، العدد ٢٢٣-١٨٩٠، ١٠ كانون الأول ١٩٣١، ص٤.
(٤) خيرية قاسمية، المؤتمر الإسلامي العام في القدس، ص٥٣.

وخلال عقد جلسات المؤتمر قدم رضا توفيق عدة مطالب من بينها رفع المنع عن شيخ الإسلام السابق مصطفى صبري، الذي كان مقيماً في اليونان، فاعتذر له رئيس المؤتمر الحاج أمين الحسيني بأن الحكومة اليونانية منعته من الحضور، فطلب رضا توفيق من سماحته أن يتوسط إلى قنصل اليونان بالتأشير على جواز سفره، ففعل، إلا أنه لم يحصل على جواب. كذلك طالب رضا توفيق بتأليف قاموس أدبي علمي ليعبر عن الاصطلاحات الحديثة حيث ان هذا العمل برأيه يشكل حجر الأساس للنهضة(١).

استمر المؤتمر إلى يوم ١٧/ كانون الأول في عقد جلساته العامة ومناقشة تقارير اللجان المعروضة عليه، وختم أعماله بالمصادقة على القرارات التالية:

- إنشاء جامعة في القدس تسمى "جامعة المسجد الأقصى".
- تأليف دائرة معارف إسلامية باسم "القاموس الإسلامي".
- إنشاء جمعيات الشباب المسلمين في الأقطار الإسلامية وفي ديار المهجر.
- تأسيس شركة إسلامية لإنقاذ الأراضي العربية في فلسطين من خطر انتقالها إلى اليهود.
- المطالبة بتسليم خط السكة الحديدية الحجازية إلى إدارة إسلامية.
- استنكار الاستعمار بجميع أنواعه في أي قطر من الأقطار الإسلامية، وفيما يتعلق بالبراق الشريف قرر المؤتمر اعتباره مكاناً إسلامياً مقدّساً عند جميع المسلمين، واستنكر قرارات لجنة البراق الدولية.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فقد قرر المؤتمر أن فلسطين بلاداً مقدسة عند جميع المسلمين وطالب باستقلالها وقرر رفض وعد بلفور وصك الانتداب البريطاني وبطلان كل ما جرى نتيجة له(٢).

إن أهم ما أنجزه المؤتمر هو جمع ذلك العدد الكبير من كبار رجالات المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية على صعيد واحد لمناقشة قضاياهم واستعراض مشاكل بلدانهم،والتعرف على الأوضاع السائدة في سائر الأقطار الإسلامية، واقتراح ضروب العلاج التي تسفر عنها أحاديثهم ومناقشاتهم(٣).

وإذا كان هذا المؤتمر قد قصّر عن تحقيق نتائج سياسة حاسمة فلا يعود ذلك إلى فساد أو وهن في أعماله، بل إن معظم البلدان التي شاركت في المؤتمر كانت تفتقر إلى الثقل الدبلوماسي الكافي ضد بريطانيا وسائر الدول الأوروبية الأخرى، والظاهرة الاستعمارية كانت لا تزال في أوجها في مرحلة ما بين

---

(١) فلسطين، العدد ٢٢٥-١٨٩٢، ١٢ كانون الأول ١٩٣١، ص٦.
(٢) للمزيد من التفاصيل عن قرارات المؤتمر انظر: عبدالعزيز الثعالبي، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٩٣١، ص١٦، ١٧.
(٣) خيرية قاسمية، المؤتمر الإسلامي العام في القدس، ص٣٧.



الحربين. وجاء نقص التمويل عاملاً آخر لإحباط عدد من المشاريع الواسعة التي أقرها المؤتمر، ولا يمكن فصل هذا العامل عن الجو العام الذي كان يسود أقطار العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً[١].

وباختتام أعمال المؤتمر الإسلامي الثاني، ختم رضا توفيق نشاطاته وغادر القدس عائداً إلى جونية، وبقي فيها إلى أن تمكن الملك عبدالله في إحدى زياراته إلى تركيا التوسط لدى رئيس الجمهورية «عصمت اينونو» فصدر عفو عنه وعاد إلى تركيا سنة ١٩٤٣ معززاً مكرماً لمكانته العلمية المرموقة في بلاده، وبقي فيه إلى أن وافته المنية[٢].

أما بالنسبة إلى سنة الوفاة فلدينا اختلاف في المراجع التي كتبت عنه. ففي عدة مراجع ترد سنة ١٩٤٩[٣]، وفي بعض المراجع نجدها سنة ١٩٥٠[٤]، بينما ترد في مراجع أخرى سنة ١٩٥١[٥]، ومراجع أخرى سنة ١٩٥٢[٦]، إلا أنني أرجح أكثر سنة ١٩٤٩ التي أوردها صديقة يوزباشي، -كما ذكرت سابقاً- بحكم الصداقة التي كانت تربطه برضا توفيق، إضافة إلى ذكره تاريخ الوفاة بشكل دقيق دليلاً على أنه كان بقربه لحظة الوفاة ويذكر أنه توفي في ٣٠ كانون الأول ١٩٤٩ الموافق يوم الجمعة الساعة التاسعة والربع صباحاً، تغمده الله بواسع رحمته، ولنكرر معاً هذا المقطع الجميل من أشعاره:

.... يا رضا ضع رأسك فوق السجادة وابكي
فإن الأحجار تتحدث عن مأساتك
أقول أسطورة، أبكي واسمع
هذا الماضي بعظمته أسطورة[٧]

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) يعقوب العودات، عرار شاعر الأردن، ص٢٦٦؛ Hilmi Yucebas, «riza tevfik ve Hayati», p9.

(٣) حسن كلشي، الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ص٨١؛ يوسف بكار، ترجمة عرار المخطوطة لرباعيات الخيام (فيلم فيديو)؛ عبداللطيف بند اوغلو، اشارات اولية في الشعر التركي، ص٥١؛ Yucebas, op. cit, p9.

(٤) آرنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص٦.

(٥) عبداللطيف بندر أوغلو، قصائد مختارة من الشعر التركي المعاصر، ص٣٠؛ Masami Arai, Turkish Nationalism in the Young Turk Era, p73.

(٦) مذكرات رستم حيدر، ص٤١٥.

(٧) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik Ve Hayati», p9.

الفصل الثالث

النتاج الثقافي الجديد لرضا توفيق

- ثقافة ومكانة رضا توفيق في الإطار العثماني
- النتاج الثقافي الجديد في شرقي الأردن
- مناصبه الثقافية
- أثر البيئة الأردنية في شخصية رضا توفيق
- نشاطه ةالثقافي في شرقي الأردن

أ- في مجال الفلسفة

ب- في مجال الشعر

النتاج الثقافي الجديد لرضا توفيق

أولا: ثقافة ومكانة رضا توفيق في الإطار العثماني

بدأ رضا توفيق كتابة الشعر في وقت مبكر، زكانت أولى قصائده قصيدة «شاطئ حمزة بك»[١]. التي أبرزت في شعره شخصية جديدة، وبداية دور جديد من حيث استعماله عروض وهيجاء في نفس الدرجة ، وكتاباته الشعرية جميلة وأشعاره انتقلت من يد إلى أخرى لمدة طويلة. سحر رضا توفيق الناس بصدق الفاظه وتعبيراته الحارة البعيدة عن التصنع، وسحر شعره جاء من أصالته، لم يكن مقلداً، بعد ذلك نشأ مقلدين له، وظهر كمصدر إلهام جديد[٢] .

وقد جذبت أشعاره الناقدة في انقلاب سنة ١٩٠٨ أنظار الجميع ودخل بين أصحاب الأدبيات الجديدة[٣]. فبعد إعلان الدستور لم يرض رضا توفيق - كما أشرنا في الفصل الأول- عن منهج ومسيرة جمعية الإتحاد والترقي، ولأجل ذلك أصبح بينه وبين رجال الإتحاد والترقي فجوة. وفي ذلك الوقت نشر أشعاره في المجلات والصحف كصحيفة «الشهراء» المعارضة، مما أثار غضب جماعة الإتحاد والترقي، ومن بين أشعاره هذه الرباعية:-

انقسم فجر الحرية

نشيد (فكرت) متحمس للأتراك

الآن، آفاق استنبول فارغة

عواء ذئب أمام ضوء القمر

حيث يظهر في هذه الرباعية اتهام رضا توفيق لفكرت- أحد أعضاء جمعية الإتحاد والترقي- بتحيّزه للأتراك، وكثرة الإعتقالات التي أجراها الإتحاديون، حيث أصبحت استانبول فارغة، مما أغضب الاتحاديين كثيراً، وأصبحوا أعداء له. إلا أن موقفه إزاء هذا كان قويا واستمر في كتابة أشعراه ونقده واعتراضه دون قيد، فوجدها كبار رجال الاتحاديين فرصة لزجه في السجن[٤].

---

(١) Ahmet Hamdi Tanyelii,«Ihtiyarladikca Genclesen Sair», P.17.

(٢) Hilmi Ziya Ulken, « Riza Tevfik: Filizof ve Sair», PP. 42, 43.

(٣) Hilmi Yucebas, « Riza Tevfik ve Hayati», P9.

(٤) Cemalettin Saracoglu, «Riza Tevfik Nasil Hapis Oldu?» P.140.



وقد خصّصت الحكومة حينئذ غرفا خاصة في المديريات، اتخذتها سجناً للشخصيات السياسية المرموقة، وقد أعطي رضا توفيق غرفة ما لبثت أن تحولت إلى منتدى ثقافي، حيث كان يأتي لزيارته كل يوم مئات الأشخاص يتحدوثون معه ساعات طويلة حول مواضيع شتى، فلسفية وأدبية واجتماعية وسياسية، وكانت غرفته كمجلس علم(١). ومن سجنه هذا خرجت أقوى قصائده «أسطورة زنزانة رضا توفيق(٢)»، صوّر من خلالها مشاعره في السجن، اقتطف لكم بعض الأبيات منها:

«أسطورة زنزانة رضا توفيق»

اسمعوا أيها الأحبة أسطورتي

انظروا كم هي غريبة

أولا أعرفكم باسمي ولقبي

لقبي الفيلسوف واسمي رضا

إن عرش السماء يهتز من صراخ الأمة

أجد أن نشيد الحرية يأتي من أنبوبة

هذه ليست حكومة إنما سوق امرأة

هناك ضحك في بعض الوجوه

إذا دخلت السجن لا تعتقد انني تعبت

إذا كنت محكوما لا تعتقد بأنني ضربت

كأنني في محيط ما هدأت

وأنا لم أتغير...

وقد جرت بين رضا توفيق وبعض رجال الاتحاديين مساجلات شعرية. ومن أشهرها المساجلة التي دارت بينه وبين عمر ناجي - أحد أعضاء جمعية الإتحاد والترقي ومن أعضاء لجنة سلانيك- وقد نشرت في أعمدة «روضة الطفل» وهي مجلة تصدر في سلانيك(٣).

---

(١) Rifik Cevad Ulunay, «Feylesof hapishanede Iken», P181.

(٢) Saracoglu, OP. Cit, PP.143-144.

(٣) آرنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص١٣٧.

قبل انقلاب (١٩٠٨) كان رضا توفيق من أنصار تيار «ثروة فنون»، الذين نادوا بهجر اللغة الشعرية المألوفة ونظموا باللغة التركية التي لا تختلف كثيرا عن العامية، كذلك استهدف هذا التيار تقليد الدب الأوروبي، والخروج على وحدة البيت في القصيدة بالاعتماد على وحدة الموضوع فيها. وعلى الرغم من أن هذا التيار قد جدد الأدب التركي من ناحية الشكل والمضمون، إلا أنه حافظ على الاسلوب التركي في الاعتماد على الألفاظ العربية والفارسية، واستعمال العروض العربية[١].

وبعد إعلان الدستور أصبح رضا توفيق من أنصار الأدب القومي (١٩٠٨-١٩٢٣) حيث نشأ هذا التيار الأدبي تحت تأثير الحركة القومية التي كان يدعو إليها شباب حركة الإتحاد والترقي بعد الانقلاب العثماني في ١٩٠٨، وقد استمر حتى إعلان الجمهورية ، وكان رضا توفيق على رأس هذا التيار في مجال الشعر[٢].

اعتمد هذا التيار على العودة إلى التراث القومي التركي وإستلهامه في الآثار الأدبية الجديدة، وقطع صلة الشعر التركي بالتيارات الشعرية الأجنبية وتتريك اللغة، واستلهام الواقع التركي في الشعر، لذلك فقد دعا أنصار هذا التيار إلى ترك أوزان العروض العربية، واستعمال أوزان الهجاء التركية وتنقية الشعر من الكلمات الأجنبية، وكانت مجلة (الأقلام الشابة) مثابة لسان حال هذه المدرسة[٣].

ولبعث التراث القومي التركي شارك رضا توفيق في كانون الأول ١٩٠٨ بتأسيس «جمعية الأتراك» بهدف دراسة ونشر جميع البحوث المتعلقة بالشعب التركي في الماضي والحاضر، في علم الآثار والتاريخ واللغات والأداب وعلم الأجناس والأخلاق وعلم الاجتماع والحضارة والجغرافية القديمة والحديثة للأراضي التركية، مثل «أتراك قازان» و«الحرف اليدوية التركية» و«تاريخ الأدب التتاري». وصدر باسم الجمعية مجلة تحمل اسمها ظهر منها سبعة أعداد وسجلت فيها إجراءات الاجتماعات والمساجلات التي كانت تتم في الجمعية. وقد كان مركز الجمعية في استنبول وظهر لها فروع في ازمير (Izmir)، كاستمنو(Kastamonv)، روسكو (Ruscuk)، وفي بودابست (Budapest)، وقد

(١) ناصر الحاني، دراسات في النقد والشعر (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت) ص٤٨؛ عبد اللطيف بندر أوغلو،قصائد مختارة من الشعر التركي المعاصر، ص٢٥، ٢٧.
(٢) إبراهيم الداقوقي، الأدب التركي المعاصر، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث عشر (الكويت، وزارة الأعلام، نيسان،أيار،حزيران، ١٩٨٢)، ص١٠٠؛ عبد اللطيف بندر اوغلو، قصائد مختارة من الشعر التركي المعاصر، ص٢٧.
(٣) إبراهيم الداقوقي، الأدب التركي المعاصر، ص١٠٠.

حُلّت هذه الجمعية في أواخر سنة ١٩١١ بسبب مغادرة أعضائها النشطين استنبول[١].

وانصب جهد رضا توفيق مع أعضاء هذه الجمعية في بحث قضية التقريب بين لغة الكتابة التركية ولغة الكلام، حيث كان يطلق على اللغة قبل إعلان الدستور «اللغة العثمانية»، لأن كلمة «التركية» كانت مرادفة في نظر رجال الدولة وكتابها للعامية، فكان يقال تبعا لذلك «الصرف العثماني» و«الآداب العثمانية» ولم تكن اللغة العثمانية سهلة الفهم للعوام من الشعب التركي خاصة الشعب القروي، إذ لم يكن كتاب الترك وأدباؤهم يتحرجون من استعارة الكلمات العربية والفارسية وحشوها في كتاباتهم، بل كانوا يكثرون من استعمالها، ويعتبرون قواميس هاتين اللغتين ملكاً مباحاً لهم لإيجاد قواف طريفة في أشعارهم، أو عبارات رنانة في كتاباتهم، ويستعينون بالقواعد العربية والفارسية فيصيغون كلمات الجمع تارة حسب قواعد اللغة التركية الأصلية، وتارة حسب قواعد اللغة العربية أو الفارسية، كما كانوا ينظمون الشعر على أوزان العروض العربية أو الفارسية ويتخمونه بكلمات وتراكيب من هاتين اللغتين. وأصبح الشعب التركي غير قادر على فهم شيئاً كثيراً من هذا الأدب المعقد المزخرف، الذي أصبح رجال الأدب والعلم من الأتراك، وخاصة بعد إعلان الدستور يحتقرونه، لأنه كان بمثابة أدب ارستقراطي مترفع عن الشعب، لا يتجاوب مع فهمه[٢].

أما الشعب التركي العادي فقد كان يعرف نوعاً آخر من الشعر يتبع وزناً يسمى «وزن البنان» لأنه يستند إلى عد المقاطع بالأصابع، وينظم الشعراء الشعبيون على وزنه أزجالاً شعبية ترتل على الربابة، فالهدف الذي رمى إليه رضا توفيق وأعضاء «جمعية الأتراك» هو خدمة رجل الشارع والفلاح التركي، وإيجاد لغة يفهمها وتتجاوب مع عواطفه[٣].

وتمكن رضا توفيق من ان ينهج منهاجاً جديداً، مغايراً لما اعتاده الأدباء في ذلك الوقت، حيث استحدث الأدب الشعبي[٤]، وأحيا الأناشيد الإسلامية

---

(١) Jacob M. Landau, Pan-Turkism in Turkey (London: C. Hurst & Company, 1981) PP38, 39.

(٢) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص٢٧١، ٢٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

(٤) ولد هذا النوع من الأدب من صميم الشعب وأكثر مواضيعه تتعلق بالدين وبمرور الوقت توسعت مواضيعه، وأصبح يعبر عن آلام وتطلعات الجماهير الشعبية من أجل سعادتها وحريتها، أيضا تضمن النواحي الاجتماعية والانسانية والعادات والتقاليد كما نعرض هذا الأدب إلى مصالح الطبقة الحاكمة، لهذا تعرّض أكثر الأدباء الشعبيون الأتراك

والشعبية، وبلور الأدب الوطني بصورة مسموعة وكان أول من رفع صوته حتى يصل آذان المثقفين في الأدب الشعبي، ليربط بين الأدب الشعبي والمثقفين، اللذان لم يرتبطا منذ سبعة قرون[١] . كما كتب مجموعة قصائد على نمط الأدب الشعبي، غناها الفلاحون حيث كان لها وقع حسن ، وبذلك حمل رسالته في بعث الأدب الشعبي إلى صفوف الفلاحين مباشرة، هذا الأدب الذي لم يوليه أحد من الكتاب أهمية[٢] .

كذلك اهتم رضا توفيق بالشعر الفلسفي، إلا أنه اختلف عن شعراء الطراز الشعري الفلسفي في نواحٍ عديدة منها: استلهام الشعر الشعبي التركي، والنظم بأوزان الهجاء التركية، ومحاولة تطويره الشعر الشعبي التركي القديم بإيجاد القوالب الحديثة له، وبذلك أصبح من أبرز شعراء المتصوفة، كما أنه نظّم شعراً بأوزان العروض العربية وأشعاراً بالفارسية والفرنسية، وهو يلقب في الشعر التركي بالشاعر الفيلسوف، وبذلك أعطى رضا توفيق روحاً جديدة للشعر التركي[٣] .

ولإلمام رضا توفيق بالعديد من اللغات الشرقية والغربية فقد عُيّن أستاذاً في آداب اللغات الثلاثة: (التركية والفارسية والعربية) في جامعة استنبول (دار الفنون)[٤]، التي اضطر إلى تركها بعد توقيعه معاهدة سيفر، واضرب طلابه المقربون منه والذين كانوا يلتزمون بحضور محاضراته باستمرار، وكان من نتيجة هذا الإضراب أن ترك الجامعة [٥].

وقد نشر رضا توفيق العديد من مقالاته في الصحف التالية: «تشكيلات» و«تقديرات» و«تأمينات» و«مريخ» و«إصلاحات» و«صحراء» و«إفهام» و«إقدام» و«إقتحام»، إضافة إلى جريدة «تأسيسات» التابعة لحزب الحر

للتشريد من جانب السلطة الحاكمة، وأُحتضنوا من جانب الشعب: عبد اللطيف بندر اوغلو، إشارات أولية في الشعر التركي، ص١٧،١٨.

(١) Hilmi Ziya Ulken.«Riza Tevfik: Filizof ve Sair» , P42.

(٢) Turkish Student, The Iinfluence of Modern Turkish Lliterature upon Turkish Westernization, The Moslen World, Volume XXI, (1966) ,P407.

(٣) إبراهيم الداقوقي، الأدب التركي المعاصر/ص٢٠٣؛ عبد اللطيف بندر أوغلو، قصائد مختارة من الشعر التركي المعاصر، ص ٢٦-٣٠. من اشهر دواوينه: ١- ديوان (سراب عمري) حيث جمع كل أشعره فيه، وجاءت طبعته الأولى في ليفكوشا- قبرص (Lefkosa, Kibris) سنة ١٩٣٤، والطبعة الثانية في استنبول سنة (١٩٤٩). Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati», P9 ٢- ديوان (إلى شخص مجهول) ٣- وألف كتابا بعنوان (حسن ضيا الكبير) أحد الشعراء الترك الكبار؛ Masami Arai, Turkish Nationalism in the Young Turk Era, P13.

(٤) يوسف بكار ، ترجمة عرار المخطوطة لرباعيات الخيام، (فيلم فيديو).

(٥) Hilmi Ziya Ulken, «Riza Tevfik :Filizof ve Sair», P41.

المعتدل، والتي كان يتولى رئاسة تحريرها[١]. وقد بحث رضا توفيق في معظم كتاباته في الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق النهضة لأمته، داعيا إلى تعاون أمته مع الأمة العربية والتي وردت في مذكرات رستم حيدر. يقول رضا توفيق« ... يجب أن نتوسل بوسائط أوروبا، الغلو قتل الموفقية. حالتنا كالولد البطران. عشنا مدة في عالم الخيال، أردنا أن نقفز أكثر من قوتنا، الأمة العربية في دور نقاهتها وصباوتها. لنعمل معها كما يعمل المربي الحكيم، لا نظام ولا انتظام. لا مسؤولية في العمل، الشاب كان يشتغل في السياسة والولد أيضا.كل رجل كان يظن نفسه في مقام فيصل. نسينا مدة من الزمن أن الأمة كانت تخضع لجمال، وأنها لا تتبدل في شهر أو شهرين، لا يعتمد من جرّب فاعتمدنا على المجربين. لا سر لدينا نحفظه، إن الذين كانوا يتهمون المعتدلين بالخيانة هم أحداث الأمة في معرفة إحوالها النفسية ومقدرتها وهم أرباب فكرة خيالية. خطيئاتنا عظيمة. مجد الأمة لا يبنى على الأمال والخيال فقط. اليابان لم تنهض إلا بعد أن اخذت معدات التمدن الحديث. بقاؤنا على حالتنا والاحتفاظ بما نحن عليه بينما أوروبا تتقدم قتل لنا ان لم يكون في الحاضر ففي المستقبل. نحن مع الأسف في حاجة إلى كل شيء ونود أن نأخذ ما نريد بدون تضحية، ذلك مخالف لطبيعة البشر ولطبيعة القوى ونحن ضعفاء، فلننتفع ولنترك للغير منفعة في محاولتنا. ولنسع أبداً ودائماً[٢] .

ومن أشهر مؤلفات رضا توفيق الأدبية كتاب بعنوان «اللغة التركية التي يتكلم بها السيد أمين»[٣]. كذلك قام رضا توفيق بنشر مذكراته بعنوان «إني أتحدث قليلاً» في جريدة «الصباح الجديد»، على شكل حلقات متسلسلة خلال شهري آب وأيلول، سنة ١٩٤٨ بعد عودته من الغربة، وفيها قام بمراجعة حياته السياسية. هذه الذكريات التي خطها بقلمه في آخر حياته، لا تستند إلى الوثائق لذلك دخلت في إطار قصص محفوظة في الذاكرة، كما أنها لم تسر بشكل منظم، متسلسل، وقد أظهر رضا توفيق في هذه المذكرات قناعاته الشخصية لحياته السياسية[٤] .

ومن ناحية أخرى فقد تناول رضا توفيق في فلسفته مواضيع مختلفة في اللغة والعلوم والرياضة والاخلاق، وقد قامت فلسفته على البحث عن سر الوجود وعلى تنظيم المعلومات البشرية وتحليل الأفكار وترتيبها، في حين أن فلسفته سارت بدون نظام ، فلم يكن له منهج فلسفي واضح. ومما تقدم نستنتج ان معلوماته الفلسفية عامة، والبعض لا يعتبروه فيلسوفاً، وان لقب فيلسوف

---

(١) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري الأول، ص ٢٢٧، ١٥٧.
(٢) مذكرات رستم حيدر، ص ٦٩١.
(٣) Masami Arai, Turkish Nationalism in the Young Turk Era, P.111.
(٤) Haluky Sehsuvauglu, Ittihat Ve Terakki Aleyhtarlarinin Hatiralarim, in Yucebas, OP. Cit, P.198.

نسبه هو لنفسه لأنه يعتبر عن كلامه بشجاعة، وهو من هذه الناحية يُعتبر فيلسوفاً، وليس من منظور فكر عميق منظم، إنما فلسفته جاءت من سعة معلوماته(١) .

استطاع رضا توفيق استعمال لغة جديدة للدخول إلى عالم فكري جديد، حيث وازن بين الفلسفة الغربية، والفلسفة الشرقية، وأنقذ الناس من المعجبين بالفلسفة الغربية، وفي نفس الوقت أنقذهم من تقليد الشرق(٢) .

وقد ترجم رضا توفيق مع الأديب التركي حسين دانش(٣) «رباعيات(٤) عمر الخيام»(٥) في استانبول (١٩٢٢). وتحتوي الترجمة على مقدمة من قسمين وترجمة (٣٩٧) رباعية. القسم الأول من المقدمة لحسين دانش، أما الآخر من المقدمة فلرضا توفيق. ويبحث القسم الذي كتبه دانش حياة الخيام بالتفصيل وشعره وشاعريته والرباعيات، وما يتصل بها من حكايات حول نسبتها إلى الخيام وغيره. وترجماتها- في ذلك الوقت- إلى اللغات الأخرى، وآراء الباحثين فيها في الشرق والغرب، أما القسم الذي كتبه رضا توفيق فيقتصر على بحث عميق وواسع في فكر الخيام وآرائه الفلسفية. لكن حسين دانش فيما بعد حذف القسم الذي كتبه رضا توفيق ، وأجرى تعديلات على الكتاب، ثم نشره باسمه وحده عام ١٩٢٧ وطبعته مطبعة إقبال باستنبول، التي كانت قد طبعت الكتاب المشترك(٦) . لقد اختلطت الرباعيات الحقيقية بالمزيفة، وصار التفريق بينهما

---

(١) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati» PP.21,24,32,35,38,39.

(٢) Hilmi Ziya Ulken, « Riza Tevfik: Filizof ve sair», P.41.

(٣) حسين دانش: عالم وشاعر ايراني، ولد بأصفهان عام(١٨٦٧)م وتوفي بأنقرة عام (١٩٤٣م) ذهب في شبابه إلى استانبول حيث أكمل دراسته، ثم قرر الإقامة فيها، فاشتغل بتدريس الآداب الفارسية في المعاهد العليا وفي (دار الفنون) ، له مؤلفات كثيرة عظمها بالتركية. للمزيد من التفاصيل انظر: يوسف بكار، ترجمة عرار المخطوطة لرباعيات الخيام، (فيلم فيديو).

(٤) اسم الرباعية كان يطلق قديما على الأربعة أشطر، كمات في رباعيات الخيام التي يتألف كل منها من بيتين، كما أنها وردت في بحر فارسي دخيل في العربية يسمى بحر (الدوبيت) أي بحر البيتين، والرباعية هي قطعة مستقلة فيها وحدة في الشكل والمضمون، يمهد الشاعر لغرضه في السطور الثلاثة الأولى وفي السطر الرابع يفرغ إلى النتيجة التي مهد إليها: هاني الخير، رباعيات الخيام في العربية (د.م: د.ن، ١٩٨٢) ص٥١.

(٥) عمر الخيام: شاعر وفيلسوف مستعرب من اهالي نيسابور مولداً ووفاة، كان عالما بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ، له شعر عربي. وتصانيف عربية . وبقيت من كتبه رسائل منها (شرح ما يشكل من مصادرات اقليدس). بلغت شهرة الخيام ذروتها بمقاطعاته الشعرية (الرباعيات) التي نظمها شعراً بالفارسية وترجمت إلى لغات عديدة للمزيد من التفاصيل انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٣٨.

(٦) يوسف بكار (محققا)، رباعيات عمر الخيام، ترجمة مصطفى وهبي التل (عرار) (بيروت: دار الجيل؛ عمان: مكتبة الرائد العلمية، ١٩٩٠) ص٤١، ٤٢.

أمراً متعسراً في وقتنا الحاضر، حتى على كبار الأدباء الإيرانيين والأدباء العرب والمستشرقين، إلا أن رضا توفيق اعتقد أن الرباعيات الحقيقية لا تتجاوز مئة(١) .

ومن آثاره الفلسفية محاضراته «دليل اتحاد عثماني» التي نشرها سنة ١٩١٤ و«محاضرات فلسفية» نشرها في «مجلة العلوم الاجتماعية والاقتصادية». إضافة إلى مقالات فلسفية أخرى نشرها في مجلة «المعرفة» ومجلة «أدبيات عمومية» ومجلة «بيان الصباح». ولم يكتف رضا توفيق بالكتابة في الصحف والمجلات بل ألقى محاضرات فلسفية في قاعة المؤتمرات في دار الفنون (جامعة استنبول) من هذه المحاضرات: «فلسفة التربية والتعليم الوطني» و«تاريخ الفلسفة» (٢) .

كذلك وضع رضا توفيق العديد من الكتب الفلسفية ككتابه الضخم في دراسة عبد الحق حامد أعظم شعراء الترك المعاصرين بعنوان «عبد الحق حامد: ملاحظات فلسفية» نشر سنة ١٩١٣، وكتابه «مفصل قاموس الفلسفة» الذي نشر سنة ١٩١٤(٣)، و«معجم القاموس الفلسفي». وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لا يعد مصدرا من مصادر الفلسفة إلا أنه كتاب مفيد، حيث كتبه رضا توفيق بأسلوب مبسط يدل على أنه موجه للقراء عامة وليس للمتخصصين فقط(٤). أيضاً وله رسالة صغيرة بعنوان «وحدة الوجود»(٥)، إضافة إلى كتابه عن أحدى الفرق الشيعية الإسلامية نشر في سلسلة حلقات في ليدن (هولندا) (٦) .

---

(١) هاني الخير، رباعيات الخيام في العربية، ص ٤٩، ٥١.

(٢) Hilmi Ziya Ulken, «:Riza Tevfik: Filizof ve Sair», P.41.

(٣) Hilmi Yusebas, «Riza Tevfik ve Hayati» P.24.

(٤) Adnan Adivar, Feylesof, in Yucebas, OP.Cit, P.32.

(٥) Ahmet Hamdi Tanyelii, «Ihtiyarladikca Genclesen Sair», P17.

(٦) تقارير جاكوب اسرائيل دي هان عن لقاءاته مع سمو الأمير عبد الله، ج٣، ص٥.



ثانيا: النتاج الثقافي الجديد في شرقي الأردن

مناصبه الثقافية

تعددت مواهب رضا توفيق الأدبية سواء أكانت شعراً أم نثراً أم لغةً. وبحكم الصداقة التي جمعته مع الأمير عبدالله، فقد أراد الأمير أن يجعله قريباً منه مستفيداً من مواهبه خاصة اللغوية، فعيّنه فور وصوله إلى شرقي الأردن ترجماناً في الديوان العالي وتشاء الصدف أن يكون هذا المنصب أول وآخر منصب تولاه رضا توفيق في شرقي الأردن(١).

ويعتبر الحوار الذي جرى بين المحامي جاكوب إسرائيل دي هان والأمير عبدالله في المقر العالي في عمان في ٢٦ حزيران ١٩٢٣، من أشهر اللقاءات التي لعب بها رضا توفيق دور المترجم، حيث كانت اللغة التركية لغة التفاهم بين الأمير ورضا توفيق، والفرنسية بين دي هان ورضا، ودار الحوار عن اليهودية. ولم يكتف رضا توفيق بلعب دور المترجم، بل شارك في هذا الحوار مبدياً تعاطفه مع اليهودية لا الصهيونية، حيث يعتبر القيم الدينية أكثرها أهمية، وأبدى دي هان في هذا للقاء أسفهُ من ان رضا توفيق لم يأخذ حظه في وطنه حيث قال: «لقد عملت الحرب كثيرين من الصغار كباراً، وكثيرين من الكبار صغاراً. بحيث أن رجلاً مثل رضا توفيق بقي خارج دائرة الاهتمام»(٢).

وقد ساهم رضا توفيق في تأسيس أول مجمع علمي ـ كما أشرت في الفصل الثاني- في شرقي الأردن في تموز ١٩٢٣، بهدف إحياء الآثار القومية ورفع منار المعارف العربية، ويكون عاملاً قوياً من عوامل أحكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد، وكان من غايات هذا المجمع إنشاء مكتبة عامة تبرع لها رضا توفيق بمجموعة كتبه التي لم تكن تقل عن ثلاثة آلاف مجلد، وعلى الرغم من فشل هذا المشروع إلا أنه كان محاولة رائدة، دلت على مدى ما تمتع به أعضاء هذا المجمع من وعي ثقافي، وفي وقت مبكر من تأسيس الإمارة(٣). فيما بعد قام رضا توفيق وقبل سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تشرين الأول سنة ١٩٢٨ بإهداء هذه الكتب الثمينة إلى إدارة

---

(١) مقابلة أجريتها مع المؤرخ سليمان موسى يوم الأحد ١٩ أيلول ١٩٩٣.
(٢) تقارير جاكوب إسرائيل دي هان عن لقاءاته مع سمو الأمير عبدالله، ج٣، ص٥.
(٣) الشرق العربي، العدد ٩، ٢٣ تموز ١٩٢٣، ص٢.

المعارف في شرقي الأردن[١] والتي بدورها قامت بعد أن استبدلت اسمها بوزارة التربية والتعليم بالتبرع بها لمكتبة الجامعة الأردنية سنة ١٩٦٣[٢].

وقد شارك رضا توفيق في تأليف أول «مجلس للمعارف» في البلاد، والذي أُوكلت إليه مهمة اختيار المعلمين وموظفي المعارف بالإضافة إلى الإشراف على مناهج التدريس[٣]. وكان أيضاً ضمن الهيئة العلمية التابعة له، تولى من خلالها الإشراف على امتحانات المدرسة التجهيزية في السلط[٤].

وعندما حُلَّ مجلس المعارف في ٢٨ تموز ١٩٢٦، شارك رضا توفيق بتشكيل «مجلس المعارف الاستشاري»، وقد انحصرت وظيفة هذا المجلس في الأمور العلمية والفنية المتعلقة بالمدارس، ووضع برامج المدارس، وسن الأنظمة الداخلية والتعليمات العامة، وانتخاب الكتب، وإبداء الرأي في الأنظمة والقوانين المتعلقة بالتدريس، وتعيين طريقة فحص المعلمين والمعلمات واقتراح الأنظمة التي تؤدي لهذا الغرض[٥].

ولغزارة علم رضا توفيق، ولخدماته الجليلة وأعماله التي أفادت الفكر الإسلامي، فقد مثّل شرقي الأردن بصورة غير رسمية في المؤتمر الإسلامي العام، الذي انعقد في القدس - كما أشرت في الفصل الثاني- حيث ساهم رضا توفيق في مناقشات المؤتمر الإسلامي خاصة تقرير لجنة الثقافة والجامعة الإسلامية، وكان مؤيداً لفكرة إنشاء هذه الجامعة، لتُعلم اللغة العربية من مناهلها بالإضافة إلى لغات أخرى[٦]. واقترح رضا توفيق في جلسات المؤتمر تأليف قاموس أدبي علمي ليعبر عن الاصطلاحات الحديثة، إذ أن هذا العمل برأيه يشكل حجر الأساس للنهضة، وقد أخذ أعضاء المؤتمر الإسلامي بمقترحات رضا توفيق، وأجملوها في البيان الختامي للمؤتمر، إلا أن فشل هذا المؤتمر للأسباب التي ذكرتها سابقاً، حال دون تحقيقها[٧].

---

(١) فلسطين، العدد ٤٣-١١٠٣، ٣١ –تموز- ١٩٢٨، ص٤. حاولت التوصل لهذه الكتب، إلا أن مكتبة الجامعة الأردنية لا تملك قائمة بها، وهي موزعة على الرفوف ومن الصعب حصرها، لكن مكتبة الجامعة الأردنية لم تقصر في شكره، وذكرت اسمه على اللوحة الموضوعة في مدخل المكتبة والتي دون عليها أسماء من جادوا للمكتبة بهبات سخية. الباحثة.

(٢) اللوحة الموضوعة في مدخل مكتبة الجامعة الأردنية.

(٣) الشرق العربي، العدد ١٣، ٢٠ آب ١٩٢٣، ص٢.

(٤) الشرق العربي، العدد ٢٩، ١٧ كانون الأول ١٩٢٣، ص٢؛ الشرق العربي، العدد ٥٦، ٢حزيران ١٩٢٤، ص٢.

(٥) الشرق العربي، العدد ١٣٤، ١٥ آب ١٩٢٦، ص٥٢.

(٦) فلسطين، العدد ٢٢٣ -١٨٩٠، ١٠ كانون الأول ١٩٣١، ص٤.

(٧) فلسطين،العدد ٢٢٥-١٨٩٢، ١٢ كانون الأول ١٩٣١، ص٦.

أثر البيئة الأردنية في شخصية رضا توفيق

أثرت البيئة الأردنية وعلى وجه الخصوص الصحراء في شخصية رضا توفيق، وفي حوار له مع الأمير عبدالله يبيّن هذا التأثير حيث يقول: «... صفاء الهواء وجمال الليالي يعطي الإلهام للإنسان، ربما لهذا السبب خرج كل الأنبياء من الصحراء.. بجوار نهر الأردن خرج أنبياء عظماء وحكوا، ونجحوا في نشر الأحكام الدينية والأخلاقية في العالم، كيف نحلل هذا الشيء؟ حسب رأي هذه معجزة الصحراء. إن السنوات التي قضيتها في نيويورك فكرت فيها في كيفية هذا الأمر، فأدركت أن الإنسان في أمريكا عندما رأى آثار دهاء البشرية، لم يجد وقتاً للنظر إلى السماء، هناك دائماً يُعجب بالإرادة وقوة الإنسان، الإنسان يُعجب بنفسه ولا يفكر بالله، العمارات وسكك الحديد والجسور، هل يمكن أن توجد مثل هذه الأشياء في صحراء العرب؟ لكي نرى التأثير البيئي على الإنسان وعل نفسيته، يجب أن يعيش في الصحراء وليس في بلدان متحضرة، لأن آثار المدنيّة التي يستغرب فيها الإنسان، أكثر تأثيراً علينا، وعندنا ردة فعل اتجاهها، أما في الصحراء فمزاج وخصائص البدو تلفت الأنظار بسرعة، ففي عالم الصحراء التي ليس لها حدود، الإنسان يُجبر أن يعيش فيها، يدافع اتجاه الأخطار، يضطر أن يحافظ ويدافع عن نفسه، ولهذا على المرء أن يثق بنفسه «وعندما سأله الأمير عبدالله هل صحراء العرب أثرت على حياتك، وأفكارك ومشاعرك؟ أجابه: «لا شك في ذلك، فعندما دخلتها أمنت بقوة»[١].

لقد ساهمت الصحراء الأردنية، والتي كان رضا توفيق يخرج إليه بين الفينة والأخرى طلباً للعزلة والتأمل، ساهمت في توضيح أفكاره حول (الله)،وفي آخر حوار أجرى معه سُئل كيف ترى الله؟ أجاب: «إنني أعتقد باعتقاد أهل السنة، وسوف أعطي صورة مختصرة حول ذلك، أولاً كتابنا (القرآن الكريم) أوضح أقوالاً صريحة في نصه حول هذا الموضوع، وقد أجاب على هذا السؤال من هو الله؟ أن في القرآن صفات كثيرة حول الله هو الرحيم، الشفيق، العزيز، المنتقم. ويجب أن يُقبل هذا في إطار تفكير إنساني يناسب الطبيعة البشرية، أن معرفة الحقيقة حول ذات الله، هذا خارج عن المعرفة، نحن نحس بوجوده بإحساسنا بشعورنا نسلم بذلك، بهذا الشعور نعرف وجود الله أبدياً أزلياً، خالقاً، وهذا الشعور فوق كل منطق، كل الفلاسفة الإسلاميين عندهم هذا الفكر عن الله»[٢].

واستفاد رضا توفيق كثيراً، من السنوات الطويلة التي قضاها في شرقي الأردن، حيث مرّ فيها بعدة تجارب، وفي النتيجة اهتزت أقوى اعتقاداته، وبالنسبة للحياة فهم معانٍ جديدة. وبالنسبة للتاريخ كان رضا توفيق ينظر إليه

---

(١) Kandemir, Filozof Riza Tevfikle son Gorusme, in: Hilmi Yucebas, Riza Tevfik, pp.99-100.

(٢) ibid, pp.97- 98.



كسلسلة أحداث، وكان يؤمن بتحليل الأسباب، إلا أن إقامته في شرقي الأردن جعلته يؤمن بالقدر أكثر، وفهم معاني تراجيدية للحياة، إضافة إلى إيمانه بحقيقة الإرادة البشرية(١).

وقد أثرت الغربة في جوانبه الشعرية، وقدم أصدق أشعاره في تلك الفترة التي قضاها في شرقي الأردن. وفي ذلك يقول رضا توفيق: «... كنت أدرك المعاني وأطبعها من جوانب فلسفية، إن لحياتي جوانب شعرية، وقد تجلت في شعوري بالإحساس بحسرة كبيرة كنت أحملها في قلبي عندما خرجتُ من وطني، وكتبت في الغربة عدة أشعار بمشاعر صادقة، بإلهامها كنت أحس باليتم الذي لا أستطيع أن أعبر عنه، لأنني كنت أعيش وحدي بعيداً عن زوجتي وأولادي وأصدقائي. هذه المشاعر قرّبتني إلى الطبيعة أكثر، فكأنها فترات طفولتي الأولى أعيشها في شيخوختي، وهذا أيقظ في وجداني الماضي فأصبح حياً»(٢).

وعلى الرغم من حنين رضا توفيق إلى وطنه وحزنه على فراقه، إلا أنه لا ينكر السنوات الجميلة التي قضاها في شرقي الأردن والفائدة التي جناها من ذلك وهو يعترف بذلك قائلاً: «قضيت عمراً جميلاً صافياً، كأنني كنت أعيش أيام طفولتي في الأماكن التي أحبها مرة أخرى، واكتسبت ذوقاً كبيراً، ولاحظت إدارة أسلوب الحياة وعادات الناس في شرقي الأردن الذي عشت فيه، كما أنني فهمت جيداً أشعار دانتي الإيطالي، ومن جانب آخر أدركت في وجداني آمال ومشاعر البدوي الذي يعيش تحت خيمة في الصحراء، ظهرت لي علامات غريبة ومتشابه وفطرية بين روحي وبين هؤلاء البدو»(٣).

نشاطه الثقافي في شرقي الأردن

أ- في مجال الفلسفة:

أثرت أراء الفيلسوف التركي رضا توفيق في نفس الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل (عرار) وقرّبته من رضا توفيق ووثّقت صداقتهما(٤)، حيث كانت لهما جلسات فلسفية في «دار الحكمة»، وهي عبارة عن دكان صغير في عمان

---

(١) Riza Tevfik, Memlkietten Nasil, ayrildigini anlatiyor», p.172. p.172.

(٢) Riza Tevfik, «Riza Tevfik, Memlkietten nasil, ayrildigini Anlatiyor», p.172.

(٣) Ibid, p.173.

(٤) اختلف عرار فيما بعد مع رضا توفيق بسبب توقيعه على مشروع روتمبرغ، وهاجمه على صفحات جريدة الكرمل. الكرمل، العدد (١٢٣٢)، ٢٤ نيسان ١٩٢٧، ص٣.

لنجّار يصنع المحاريث، وتقع في مدخل المنشية –جنوب غرب عمان-، وهي قائمة على عمد من خشب وسقفها من الزينكو وأرضها مفروشة بالنشارة وفي وسطها حجر، وبالقرب منه حجرٌ آخر كان يجلس عليه الفيلسوف رضا توفيق، وحجر آخر كان يجلس عليه عرار، وكان يدور بينهما حديث فلسفي بعيدٌ عن عالم المادة[١].

ويتعرف الأستاذ محمد الشريقي، الذي كانت تربطه أيضاً صداقة قوية برضا توفيق وكان يقوم بترجمة مقالاته إلى اللغة العربية في جريدة «الشرق العربي». إن مجالس رضا توفيق في عمان كانت افضل المجالس وأضواءها شعلةً وآنسها نغمة وألطفها بسمة وأكثرها حكمة وقد ساعدت على تطور الفن والأدب في شرقي الأردن، واستفاد منها الأدباء الأردنيون فائدة كبيرة[٢].

ولتشابه إحساس عرار بإحساس رضا توفيق بالغربة والبؤس، فقد ذكره عرار في قصيدته (الهارب الغالي) [٣] حيث قال:

(١) وما صـــرفند لولا النازلين به	وبينهم يـا عرار الهـارب الغـالي
(٢) أبي وفي النار مثوى كل والدة	ووالـــــــدٍ للبؤس أمثــــــــالي
(٣) ما كان ضرّك لو من غير صاحبةٍ	قضـيت عمرك شـأن الزاهد السـالي
(٤) الفيلسوف (رضا توفيق) لقنني	أن الشـــجّيَّ نـجي خـالـي الـبـال
(٥) وأنّ وادي الشّـــتا حوّ جاذره	وأنّ «للـهبر» بنـتـاً ذات خلـخـال
(٦) وأن من يبتغي علمـاً ومعرفـةً	عليـه أن يرتـدي ســربـال جهّـال

وقد قام الشاعر عرار بترجمة «رباعيات عمر الخيام» التي وضعها رضا توفيق وحسين دانش، إلى اللغة العربية، حيث ضمت الترجمة التركية (٣٩٧) رباعية، لم يترجمها عرار جميعها، وإنما ترجم (١٦٩) رباعية فقط[٤].

---

(١) يعقوب العودات، عرار شاعر الأردن، ص١٥٦، ٢٦٦.
(٢) رضا توفيق، التفاؤلية والتشاؤمية في الحياة والشعر، ص٢، ٣.
(٣) زياد الزعبي (محققاً)، عشيات وادي اليابس (ديوان مصطفى وهبي التل) (عمان: مؤسسة الصحيفة الأردنية (الرأي)، ١٩٨٢) ص٢٩٦.
(٤) يوسف بكار، ترجمة عرار المخطوطة لرباعيات الخيام (فيلم فيديو)؛ يعقوب العودات، عرار شاعر الأردن، ص٩٤.

وقد تمثل نشاط رضا توفيق الفلسفي أيضاً في إلقائه العديد من المحاضرات في شرقي الأردن وفلسطين، ومنها محاضرته القيّمة التي ألقاها في ١ أيار ١٩٢٨ في نادي جمعية الشبان المسيحية في القدس باللغة التركية، وتم ترجمتها إلى اللغة العربية بعنوان «فلسفة الحياة». وبلغ من إعجاب القوم بالفيلسوف أن دعاه نادي الشبيبة البيتلحمية لإعادة إلقاء هذه المحاضرة في بيت لحم فلبى الدعوة مغتبطاً بإذاعة العلم والأدب[١]. كذلك ألقى الفيلسوف رضا توفيق، في ١٥ من نفس الشهر محاضرة قيّمة في كل من نادي جمعية الشبان المسيحية في القدس، ونادى الشبيبة البيتلحمية بعنوان «فلسفة التفاؤل والتشاؤم» باللغة التركية[٢]، وتولى الأستاذ محمد الشريقي ترجمتها إلى اللغة العربية. تناول رضا توفيق في هذه المحاضرة آراء بعض المفكرين في فلسفة التفاؤل والتشاؤم، ماراً بمواضيع كثيرة من الفلسفيات إلى الطبيعيات إلى الفنون الجميلة، ولم تكن محاضرته علمية جافة، إنما كانت أشبه بمحاضرة أدبية تتضمن أمثلة شعرية مختارة من الشعر البليغ، ومنها قصة شعرية لصديقه محمد الشريقي بعنوان «لست هنا»، ويعود الفضل لرضا توفيق في إذاعتها لأول مرة. هذه القصة قالها الشريقي بعد ان وارى والده التراب، وكانت أمه قد سبقت والده إلى الفناء، فعاد أدراجه محمولاً على بأسٍ شديد لفقد والديه ناظراً إلى العالم والحياة بعيني تشاؤم عظيم[٣]. وقد ألقى رضا توفيق بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية محاضرة بعنوان «الحضارة الأمريكية معجزة علمية» في ٢٥ آذار ١٩٣٠ في قاعة جمعية الشبان المسيحية في القدس[٤].

ولم يألُ رضا توفيق جهداً في انتهاز أي مناسبة للبحث في نهضة العرب وعوامل ارتقائها بأسلوب فلسفي. ففي حفل تكريم الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي التونسي والتي أقيمت له في ٢١ أيار ١٩٢٤ في حديقة جريدة «الشرق العربي»، خطب رضا توفيق خطاباً في حاجة العرب للعلوم الطبيعية التي ارتقت بها الحضارة العصرية وأكدّ اعتقاده الراسخ باستعداد الأمة العربية لمجاراة الأمم الحديثة في ميدان التقدم إذا سلكت مسالك الأمم، لأن ميراثه التاريخي

---

(١) الجامعة العربية، العدد (١٢٩)، ٣ أيار ١٩٢٨، ص٣؛ الجامعة العربية، العدد ١٣٠، ٧ أيار ١٩٢٨، ص٣.
(٢) فلسطين، العدد ٢١-١٠٨١، ١٥ أيار ١٩٢٨، ص٥.
(٣) رضا توفيق، التفاؤلية والتشاؤمية في الحياة والشعر، ص٤. ٥. ٢٥. ٢٦.
(٤) فلسطين، العدد ٢٢-٢، ١٤، ٢٧ آذار ١٩٣٠، ص٣.

والمعنوي هو أعظم ميراث، وذكر حاجة الأمة العربية إلى الدعاه أمثال السيد الثعالبي[١].

كما ألقى رضا توفيق خطاباً باللغة الانجليزية في حفلة مدرسة عمان التجهيزية السنوية، والتي أقيمت في حديقة جريدة الشرق العربي في ٢٤ حزيران ١٩٢٥، تحدث فيه عن التنظيم العربي وطرق كماله وعن روابط الحضارة بين الشرق والغرب، والطريق المنتج إلى إحياء الحضارة العربية[٢]. كما شارك رضا توفيق أيضاً في الحفلة التكريمية التي أقامتها اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأردني للملك الحسين بن علي في ١٢ كانون الأول ١٩٣٠ في ساحة مقهى حمدان بعمان تكريماً له لجهوده في سبيل النهضة العربية، حيث ألقى رضا توفيق في هذا الاحتفال خطاباً باللغة التركية ترجمه إلى العربية محمد عزة دروزة، تكلم فيه عن منزلة العرب عند الأتراك مقسّماً الأتراك إلى فريقين، فريق أحب العرب وما زال يحبهم –ورضا توفيق من بينهم- وفريق مشى مع الطورانية وتنكر للعرب، وتكلم عن نشوء القومية عند الأتراك[٣]، كما قال في خطابه هذا «أن الأتراك الذين أهانوا العرب كانوا أعداء أنفسهم»[٤].

ولم يقتصر نشاط رضا توفيق الفلسفي على إلقاء المحاضرات والخطب، بل نشر العديد من المقالات في جريدة «الشرق العربي»، كتبها باللغة التركية، وتولى رئيس تحرير الجريدة محمد الشريقي ترجمتها إلى العربية. ومن أشهر ما كتبه رسائل فلسفية بعنوان «قضية النفوس في المجتمع العربي». وقد بحث رضا توفيق في رسائله من (١-١٠) عوامل نهض الأمة العربية، وبعثها من جديد، وأولى هذه العوامل مواجهة القضايا الاجتماعية بما فيها قضية النفوس، والخصال التي يجب أن يتصف بها العباد الصالحون. والذين تقع على عاتقهم مهمة تقم الحضارة، واستخدام الوسائل الناجحة في استثمار ثروة البلاد، كذلك بحث في الأسباب والعوامل المؤثرة في تناقض وتزايد النفوس «كالعوامل الجغرافية والاجتماعية والسياسية» مستشهداً بأمثلة من التاريخ[٥].

وجاءت رسالته (١١) في الحديث عن تربية الأطفال، وواجب الأمة العربية إزاءهم والمتمثل في تربيتهم التربية الصالحة ليكونوا رجال المستقبل أصحاء صالحين، أيضاً توفر الشروط الصحية والتعليمية، منّوهاً وشاكراً في رسالته

(١) الشرق العربي، العدد ٥٥، ٢٦ أيار ١٩٢٤، ص٢، ٣.
(٢) الشرق العربي، العدد (١٠٨)، تموز ١٩٢٥، ص١٤.
(٣) مرض الملك حسين بن علي في قبرص فجاء إلى عمان، ولم يتمكن من حضور هذه الحفلة: الجامعة العربية، العدد (٤٨٩)، ١٧ كانون الأول ١٩٣٠، ص٢.
(٤) مذكرات أكرم زعيتر، ص٢١٧.
(٥) الشرق العربي، الأعداد ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦.

هذه مدرسة بنات إربد لتلقينها تلميذاتها دروساً خاصة في «حفظ صحة الأطفال» [١].

وتناول رضا توفيق في رسائله من (١٢-١٧) موضوع المهاجرة، وأشهر الهجرات التاريخية وأثرها في الجماعات البشرية من حيث تناقص وتزايد النفوس[٢]. وفي الرسالتين (١٨. ١٩) بحث رضا توفيق في موضوع الصحة العامة والتربية الجسمية والرياضية البدنية وأثرها في النفوس زيادةً ونقصاناً[٣].

ووضح رضا توفيق في الرسالة (٢٠) أهمية وضع جداول إحصائية للنفوس، حتى إذا قورن بعضها ببعض علمت الحكومة أسباب تزايد النفوس أو نقصانها وبالتالي تتخذ التدابير اللازمة[٤]. وحملت الرسالة (٢١) عنوان «إصلاح النسل» حيث عالج رضا توفيق هذه الرسالة العوامل المؤثرة في إنجاب نسل سليم خالٍ من الأمراض وأثر في ذلك في تزايد وتناقص النفوس[٥]. وجاءت الرسالة (٢٢) خلاصة القول، حيث وضح في هذه الرسالة سبب اختياره لهذا الموضوع، إلا وهو دعوة الشباب العربي إلى التفكير بقضية النفوس وأهميتها في ارتقاء الأمة، وملخصاً وصاياه بعشر نقاط وهي:

١- أن تعرف الأمة العربية تاريخها وتشعر بوجودها.
٢- إدراك أهمية الموقع الجغرافي للبلاد العربية في شكل الحضارة والحركة الاقتصادية.
٣- الاهتمام بقضية النفوس كماً وكيفاً.
٤- الاهتمام بالتربية المدنية والعلمية والشروط الصحية.
٥- ترك الضار من العادات والتقاليد والاهتمام بتربية الأولاد تربية عملية لجعلهم قادرين على العمل المنتج.
٦- الاهتمام بالأوضاع والحقوق العائلية.
٧- مواكبة الأمم المعاصرة في تقدمها المادي مع المحافظة على وجودنا وكياننا.
٨- الاهتمام بالأخلاق الاجتماعية.
٩- الاهتمام بالتعليم الابتدائي بحيث يكون الزامياً مجانياً

---

(١) الشرق العربي، العدد ٧٧، ٣ تشرين الثاني ١٩٢٤، ص٢٢١.
(٢) الشرق العربي، الأعداد ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ٨٦.
الرسالة رقم (١٤) مفقودة، لم اتمكن من العثور عليها.
(٣) الشرق العربي، العددان ٨٨، ٨٩.
(٤) الشرق العربي، العددان ٩٢، ٩٣.
(٥) الشرق العربي، العددان، ٩٤، ٩٥.

١٠- الاهتمام بالتربية البدنية على أصولها ونشر المعارف والوصايا الصحية في كافة طبقات الشعب(١).

وقد أوحت آثار شرقي الأردن لرضا توفيق بكتابة مقالة فلسفية جاءت في حلقتين، الأولى بعنوان «هل في الطلول لسائل ردٌّ؟» والثانية بعنوان «الآثار وتاريخ الحضارة». بحث رضا توفيق في الحلقة الأولى وبأسلوب فلسفي بسيط غاية الحياة بالنسبة للإنسان، والمتمثلة في رأيه في أن يستثمر الإنسان مواهبه الخاصة عملياً والأخذ بأسباب التطورات المدنية، موضحاً أهمية الآثار في الوقوف على ماهية العوامل المؤثرة في ظهور الحضارة، وعلى نوامس التكامل في الحياة الاجتماعية المنظمة، لأخذ العبرة والعظة، والاهتداء إلى سر الحياة الاجتماعية الحقيقي، داعياً إلى عدم رؤية معنى الفناء في الآثار القديمة، وعدم استنباط فلسفة اليأس والاستسلام، وأن لا تقف الآثار حائلاً دون الارتقاء وتكامل الحياة، بل على الأمم أن تستنبط من هذه الآثار القديمة الجمال والفن والعلم وأن تسير مع الحضارة في كل تطوراتها(٢).

أما حلقته الثانية «الآثار وتاريخ الحضارة» فقد بحث فيها رضا توفيق أهمية الآثار في التوصل إلى حقائق هامة عن التاريخ، وفي تصحيح روايات كثيرة عن وقائع التاريخ القديم. وفي جني معارف نافعة وحقائق هامة نلتمس بها العبرة والعظمة، مشيراً إلى أهمية آثار شرقي الأردن على وجه الخصوص، منوهاً إلى ضرورة الاهتمام بها والعمل على صيانتها(٣).

وذاعت شهرة الفيلسوف رضا توفيق لغزارة علمه وحكمته، حتى أن الحكومة العراقية عرضت عليه منصب أستاذ الفلسفة في «جامعة آل البيت»(٤)، إلا أنه اعتذر عن قبوله مفضلاً بقاءه في شرقي الأردن الذي وجد فيه طيب الإفادة وحسن المعشر(٥).

وقد كان الأمير عبدالله من أشد المعجبين بالفيلسوف رضا توفيق وفي هذا يقول: «الفلاسفة بشكل عام اعتقادهم ضعيف بالدين، لكن فيلسوفنا ليس كذلك، بل هو مسلم، وهو قدوة، ونموذج لتقواه، معه كنت أقضي ساعات طوال نتحدث

---

(١) الشرق العربي، العدد ١٠١، ١٠ نيسان ١٩٢٥ ص١، ٢.
(٢) الشرق العربي، العدد ١٠٧، ١٥ حزيران ١٩٢٥، ص١، ٢، ٣، ٤.
(٣) الشرق العربي، العدد ١١٣، ١٥ أيلول ١٩٢٥، ص٢، ٣، ٤.
(٤) أسست هذه الجامعة وزراة الأوقاف العراقية بمبادرة من الملك فيصل الأول سنة ١٩٢٤ في بغداد لتخريج رجال يعرفون فضائل الدين الإسلامي، والذي تأسس بالفعل من هذه الجامعة فرع واحد اسمه (الشعبة الدينية العالية). يشترط لدخولها أن يكون الطالب متعلماً تعليماً ثانوياً، ويكفي أن أن يكوم مسلماً، فهم لا يشتوطون أن يكون عراقياً، ويُدرّس فيها أصول فقه السنة والشيعة. وتاريخ الأديان وعلم التاريخ والفلسفة الإسلامية وعلم الاقتصاد والاجتماع، لمزيد من التفاصيل انظر: محمد أديب آل تقي الدين الحصني، منتخبات التواريخ لدمشق، الجزء الأول (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩) ص٥٦٣.
(٥) فلسطين، العدد ٦٩٧-٣٩، ٢٥ تموز ١٩٢٤، ص١.



فهيا بموضوع الدين، اعترف، مع أنني أتبع الدين منذ سنوات، إلا أنني أستفدت من أفكاره، هو فيلسوف نادر، يفهم الدين ويقبله». وهو دائم التكرار لهذه العبارة: «في هذه الدنيا، إذا أردت أن يرتاح وجدانك، أفعل ما تستطيع، ثم، فكّر، اكتب شعراً، لكن لا تقل يا خسارة لا يوجد لديّ غدٌ، لا تفكر بمثل هذا ولا تحزن «عندما أتذكر قول رضا توفيق هذا في أيام الضيق فإنني أتخلص من همومي، لا أحد يشبه في صحبته»(١).

ب- في مجال الشعر

تعددت المواضيع التي تناولها رضا توفيق في اشعاره التي كتبها أثناء إقامته في شرقي الأردن، أبرزها جاء في وصف مشاعره وأحاسيسه في الغربة كقصيدة «مدن صامتة»(٢)، وصف بها شعوره بالوحدة، بعيداً عن الأهل والأحبة، وهذه مشاعر طبيعية لمن فارق أهله ووطنه، يقول رضا توفيق في هذه القصيدة:

فقدت ليلة أمس ذاكرتي بيأس

أردت أن اتسلى في البارات

من يد القدر شربتُ

لم تبق سعادة

أنا يتيم ليس لي صديق في هذه المدينة

لا أمي ولا أبي، ولا أخي

قدري غريب، رأسي مملوء بالمآسي، لا أحد يفهم لغتي

يا إلهي هذه الصحراء لا صوت ولا صدى

ولا فيّ تجولت بيوتاً ولم أجد قريباً

يا أيتها البيوت الصامتة بالهموم

قبر أخضر لجدتي ضاع

تهزُ روحي بالآمها، ألا يوجد ربيع لحل الآلام؟

محاط بمآتم الأحزان

تأتي آهات من أنهار

---

(١) Kandemir, «Filozof Riza Tevfikle son Gorusme», p.101.

(٢) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati», pp.232,233.



تأتي حمامات من مدن الغربة
تأتي أصوات من تربة مهارة فيها حمامات
أي شيء أمسك فيه دقة
أي جهة أنظر إليها فيها فراغ
فيه بكاء وحسرة
تهتز المياه لا أعرف السبب
أبكي أملي كله ضاع، هل عندي لسان عجيب؟!
يا أيها الرضا يحترق بداخلك نار العشق
عند جرح لا يداوي ينزف منه دم
يوماً سيأتي ويتذكرك الأيتام
في الأساطير التي تنقل من لسان لاخر.

وقصيدته «تعالي.. اقتربي مني أكثر»[١] لزوجته نازلي، يبث لها حنينه وشوقه إليها قائلاً:

هذه الليلة أحسُ بحزنٍ غريب
بصحبتك أعيش ذكرياتي
لا نستسلم للحزن هناك عدة أيام لي
حركي مشاعري عندي احساس بالملل

أليس كذلك؟ كنت شاباً يوماً، كانت لديّ كرامة
من بين كل البنات أعجبت بك
تعالي يا حبيبتي نازلة تعالي فقد سئمت
تحدثي لي عن الأيام الماضي العظيمة
ضعي رأسك الجميل فوق كتفي
ننظر إلى هذا القمر
نشأه حسنك أقول أقول

---

(١) Hilmi Yucebas, «Riza Tevfik ve Hayati», p183.

مرة أخرى أرى كوني

رضا توفيق
عمان/ شرقي الأردن
١٤/ كانون الثاني/
١٩٢٦

وكتب رضا توفيق أقوى قصائده «القدرية» في شرقي الأردن، التي قام بإهدائها لصديقه الأمير عبدالله. في مطلع هذه القصيدة (النسيب) تحدث عن جمال مدينة استنبول، ثم تحدث عن الخطأ الذي ارتكبه في وطنه، وهو على حد تعبيره: «اتبعت الشيطان فأعرضت عن الميثاق الوطني»[١]، وأيضاً كتب قصيدة للأمير عبدالله بعنوان (من دار قومٍ إلى أخرى) وهذه ترجمة لبعض أبياتها والتي كتبها باللغة التركية[٢]:

عـددت أيــام غمي بعـد عهـدكم	فكنت كالسـيل يجري فائضـاً صـخبا
من دار قوم إلى أخرى يهيم بكم	عســـى بطغيـانــه يطفي إذا الهيـا
بهنـانـة فرعـك اللمـاع فـاق على	تاج براس عزيزات وما اقتضـــيا
ما ضـرك اليوم لو أني دنوت وقد	جدلت فرعك واســتعذبت ذا العجبا
قـذفـت بـالهـائم الولهـان في ألم	جاد الفراق به فاســتلطف الكربا
أنقل حديثي إلى فتَّانتي وعســـى	افني دموعي على أقـدامهـا حربـا

كذلك تمثل نشاط رضا توفيق الشعري، بإلقائه العديد من المحاضرات التي تبحث في الشعر، كالمحاضرة التي ألقاها في ١٤ شباط ١٩٢٧ في قاعة جمعية الشبان المسيحيين في القدس بعنوان «الشعر الجاهلي والأسباب التي دعت إلى نشأته وتطوره»[٣]. وشارك رضا توفيق في تكريم بعض الشعراء العرب، كمشاركته في الاحتفال الذي أقيم في قاعة بلدية عمان في ١٣ كانون الأول ١٩٢٦، تكريماً للشاعر عبدالمحسن الكاظمي[٤]، حيث ألقى رضا توفيق خطبته

---

(١) Hakki Suha, Riza Tevfik, in Yucebas, op.cit,p24.
(٢) عبدالله بن الحسين، الآثار القديمة للملك عبدالله بن الحسين، ص٥٤٢.
(٣) الجامعة العربية، العدد ١٠، ٢١ شباط ١٩٢٧ ص٥.
(٤) عبد المحسن الكاظمي (١٨٦٥-١٩٣٥): هو أبو المكارم عبدالمحسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النجفي. وينتهي نسبه إلى الأم إلى الأمام موسى الكاظم جد الشريف الرضي، ولد في محلة الدهانة ببغداد سنة (١٨٦٥)، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة بمكتب فقيه البلدة، ودرس اللغة الفارسية على يد معلم فارسي. أخذ اللغة العربية عن معلم عربي بمدة وجيزة، ثم أخذ يطالع المخطوطات العربية والفارسية،

باللغة العربية وبحضور الأمير عبدالله[١]. ولم تقتصر محاضرات رضا توفيق على شرقي الأردن وفلسطين، بل وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ففي الفترة التي قضاها هناك استقبل في عدة جامعات استقبالاً حاراً، حيث ألقى فيها عدة محاضرات، أحيا فيها الأدب الشعبي التركي[٢]. هذا هو رضا توفيق بآلامه وأحزانه وعلمه وحكمته.

وتلقى العلم في الثانية عشرة من عمره في الكاظمية، واخذ يطلع على كتب الأدب، ووجد في نفسه شوقاً إلى الشعر، فأكب على نفسه حتى حفظ عشرة آلاف بيت. ولما حضر جمال الدين الأفغاني إلى العراق منفياً ناصره، فتنبهّت الأعين إليه، فغادر بغداد خفية إلي البصرة، ثم غادر إلي بغداد، وفي سنة ١٨٧٩ رحل من العراق إلي إيران فالهند وفيها نظم شعراً كثيراً، وفي عام ١٨٩٩ حضر إلى مصر وقضى فيها بقية حياته. كان الكاظمي يكره الأتراك ونظم القصائد الوطنية التي ندّدت بحكمهم وكشفت عن مساوئهم. توفي في مصر سنة ١٩٣٥ ودفن فيها.
حسن صالح عثمان؛ حامد أحمد الشوبكي، ص١٧٠، ١٧١.

(١) الكرمل، العدد ١٢١٤، ١٩ كانون الأول ١٩٢٦، ص٤.

(٢) Turkish student, The Influence of Modern Turkish Literature upon Turkish Westernization, p.406.

الخاتمة

تخلص هذه الدراسة إلى التأكيد على الحقائق التالية:

- شارك رضا توفيق في انقلاب (١٩٠٨) مع الاتحاديين يهدف المطالبة بالحرية وتحسين الإدارة في الدولة العثمانية، لكن بعد إعلان المشروطية رفض رضا توفيق سياسة الاتحاديين القائمة على الدكتاتورية والعنصرية والتطرف، فانفصل عن جمعية الاتحاد والترقي وانضم إلى حزب الحرية والائتلاف المعتدل.
- لم يكن رضا توفيق صهيونياً بالمفهوم السياسي لهذه الكلمة، إنما كا متعاطفاً مع اليهودية التي تسعى إلى سعادة ورخاء الأمة اليهودية، بصفته إسرائيلي الثقافة، ولكن ما لب أن تحول عطفه إلى هجومٍ عنيفٍ، عندما تبين له أن جهود الحركة الصهيونية تهدف لتعزيز اليَهود في فلسطين.
- كذلك لم يكن رضا توفيق يوماً خائناً لبلده بتوقيعه معاهدة سيفر، تلك المعاهدة التي أجبر عل توقيعها وترتب عليها انسلاخ أراضي كثيرة عن جسم الدولة العثمانية. فقد سعى رضا توفيق مع مفوضي حكومة استنبول في مؤتمر السلام بقصد إجراء تعديلات عليها. إلا أن جهوده باءت بالفشل، وأجبر على توقيع هذه المعاهدة، وقد اعتذر رضا توفيق عن ذهابه إلى سيفر وتوقيعه معاهدتها. في كتاب ألفه يحمل عنوان «لماذا؟ وكيف وقعوا؟».
- ساهم رضا توفيق في تأسيس إمارة شرقي الأردن حيث شارك في تأسيس أول مجمع علمي فيها، وترأس مجلس المعارف، الذي تمكن من خلاله وضع حجر الأساس للجهاز الإداري للنظام التربويّ في شرقيّ الأردن، ولعب دوراً فعّالاً كمدير للآثار، تمثل في حضور المؤتمرات وتشجيع البعثات الأثرية للقدوم إلى المنطقة والكشف عن آثارها.
- لم يكن رضا توفيق خائناً للبلد الذي استضافه، كما اتهمه البعض، بسبب توقيعه على مشروع روتمبرغ، لكن ظروف المنطقة آنذاك، والمتمثلة في الانتداب والسيطرة البريطانية، أجبرته كما أجبرت حكومة حسن خالد أبوالهدى على التوقيع.
- جاءت مشاركة رضا توفيق في المؤتمر الإسلامي العام، ممثلاً غير رسمي لشرقي الأردن، وليس ممثلاً عن الحكومة التركية التي كانت غاضبة عليه آنذاك.

- ساهمت البيئة الأردنية في توضيح أفكار رضا توفيق خاصة فيما يتعلق بالله وجعلته أكثر إيماناً به وبالقدر، كذلك أثرت البيئة الأردنية في جوانبه الشعرية، وقدم أصدق أشعاره في الفترة التي قضاها في شرقي الأردن.
- كان لمجالس العلم التي عقدها رضا توفيق في عمان، والمحاضرات التي كان يلقيها، والكتابات التي نشرها على صفحات جريدة «الشرق العربي» دوراً في تطوير الأدب والفلسفة في شرقي الأردن.

الملاحق

ملحق رقم (١)

البرقية التي أرسلتها (جمعية الخلافة) في الهند إلى مؤتمر لوزان، تهاجم فيه رضا توفيق لتوقيعه على معاهدة سيفر.

LOZAN TELGRAFLARI I

NO.51

Ismel pasa hazreilerine

No.39 28 tesrin-I sani 38

(28 kasim 1922)

C. 26 Tesrin-I sani 25 numarali telgrafa*: hint eaziminden doktor hakim hakkmdaki is ariniz muvafikder. Ne zaman geleceginin bildirilmest mercudur Efendim.**

HUSEYIN RAUF

* Bkz. No. 25.

** Hindistan muslumanlari, lozan konferansi gunlerinde di turkiye’ye arka cikiyorlardi. 25 kasim 1922 gunu lozan ‘daki turk delegasyonu hind Hilafet komitesinden su telgrafi almisu:

« les musulmans des indes sont conscients des services et sacrifices de ghazi moustapha ke-mal pacha et de la nouvelle turquie pour la cause islamique. I’attitude hostile et l’apathie du gou-vernement britannique, ont profondement impressionne I’opinion musulmane des indes.le khali-fe, en se refugiant sous la protection britannique, a virtuellement abdique et le khalifat a perdu le respec des musulmans. En ce qui concerne riza tevfik et sabri hodja, les faits que le premier a signe le traite de sevtes sevites et que le second a tet le promoteur du fetva condamnant a a mort le ghazi et d’anutres chefs sont suffisants pour demasquer leur pretention de sincerite, de patriotise et d’amour pour I’lslam. Leur recente fuite et leur sollicitation de la protection britannique sont des preuves evidentes de leurs desseins.

«les musulmans des indes ont prevu la possibilite du transport de tels personnages aux in-a va [illegible] effendi confirme encore le veritable aspect des affaires. Les indes, prevenues, sont arinees contre de pareils projects.

«priere de commuiquer a ghazi moustapha kemal pacha et a la grande assemblce nationa-le la complete confiance des musulmans des indes in eux et l’assurance de notre appui enthousi-aste». (le temps, 26.11.1922).

(1) Bilal N. simsir (Hazirlayan), lozan Telgraflari, p114.



ملحق رقم (٢)

مشاهدات وانطباعات رضا توفيق عن إربد في ١٩٢٤

قضت الوظيفة بذهابي إلى إربد ومنها إلى بيت رأس ثم الحصن لتتبع بعض الشئون الصحية والعمرانية وآثارها القديمة فرأيت فيها من الحضارة والرقي ما دعاني إلى نشر مشاهداتي على صفحات هذه الجريدة الغراء لتكون عبرة لعموم الأهلين وإني لأرجو من أهالي وسكان عمان المحترمين مؤازرتي في الخدمات الصحية والعلمية المودوعة إليّ لمعرفة وتسخير السبل الموصلة إلى صحة وسلامة السكان وعمران البلاد.

بلغتُ إربد وشرعت في تمييز حالتها العمرانية فألفيتها مستعدة إلى الرقي والحضارة بدرجة لم اكن أتوقعها من قبل. شوارعها مفروشة بالبلاط بصورة منتظمة وعلى جانب عظيم من النظافة وابنيتها مشادة على الطرق الفنية الصحية وأجدر منها بالذكر بناء فخم شُيد على رابية عالية بأبدع تكوين وأحسن ترتيب فسرني مرآه وتاقت نفسي إلى ولوجه وأنا بهج مما وصلت إليه حالة الشق العربي من الرقي والعمران وما كدت أولي وجهي شطره حتى علمت أنه معهد علمي قامت ببنائه الأهلون من أموالهم الخاصة دون أن يكلفوا الحكومة بشيء من مصارفاته فزاد سروري.

وإن كانت الحكومة التركية هي التي بدأت بإنشائه لكني لا يسعني إلا الاعتراف والفخار بهمة الأهلين الذين قاموا بإتمامه وإيصاله لهذه الدرجة التي لا أظن أن في جميع أنحاء المنطقة شيد مدرسة أحسن منها أو مثلها ولا يمكنني التصريح بأن هذا البناء لو وجد في الاستانة لعد فيها أيضاً من أعاظم المدارس في الوجهة الصحية والانتظام وإني لأظن أن جميع السياح الذين يقصدون إربد يقولون عن الاعتراف بأن أهالي إربد ميالون إلى العلم والتحصيل أكثر من كل شيء ولا يغادرون البلدة إلا وألسنتهم تلهج بالثناء العاطر على أهليها محبي العلم ونصيري الرقي.

ومما زادني سروراً أنني في اليوم التالي من وصولي دعيت لتمييز الفحص المدرسي في مدرسة الإناث فرأيتهن على جانب من النظافة والاتقان، وقد دلني شدة عنايتهن بالأشغال اليدوية على درجة قابليتهن للرقي وبشرتني بأنهن سيكن من خيرة النساء اللاتي هن من أهم أركان الحضارة والمدنية. وفضلاً عن ذلك فإنني رأيت اهتماماً بتعليم أصول التربية الأطفال على القواعد الصحية الأمر الذي دعاني إلى شكر الأهلين المحترمين لتعقيبهم المسالك القويمة في

التعليم والتربية والحاصل أن كانت إربد بلدة صغيرة لكنها بنظافة أبنيتها واتقانها واهتمامها بالمعارف والشئون الصحية تشير إلى تقدمها وسيرها نحو الرقي تجاه كثيراً عن غيرها من بلاد الشرق العربي.

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى الحصن لتفتيش المغارة القديمة. وبعد إتمام مهمتي قررت تفقد حالة البلدة فألفيت في أهاليها ذكاءً طبيعياً واستعداداً للرقي الحقيقي وقد أعجبني فيها مكتبها الإسلامي المشاد من تبرعات الأهلين وكنيستها العائدة لطائفة اللاتين.

وكانت المدرسة أغلقت بسبب العطلة الصيفية لكن ما حوته من آلات الرياضة البدنية والنموذجات التدريسية دل على رقي المدرسة وانتظام التدريس فيها وإني آمل من حكومتنا الساهرة على تعليم وتربية الشباب في البلاد أن تكثر من العناية في قرية الحصن لما بها من الاستعداد للرقي والعمران.

كنت أفكر في كل تتبعاتي لحالة عمان وأفتخر بكوني اتخذتها وطناً ثانياً لي ولعائلتي فأراها متأخرة جداً عن هذه المحال من وجهة العلم وشرائط حفظ الصحة والترتيب رغماً عما يبذله سمو أميرنا المعظم وحكومتنا الساهرة على الرقي من المساعي لرقيه وتوسيع نطاق العلم فيها وإن كانت عمان بلدة لا يتجاوز عمرها العمراني الثلاث سنوات وأن ما وصلت إليه من الرقي لموجب للفخار لكن تشبث أهاليها الشخصي وميلهم للرقي لم يصل بعد إلى الفعالية التي أتمناها وأريد أن أراها من صميم الفؤاد. وأعجب من كل هذا أن أهاليها لا تزال تنتظر كل الدعم من الحكومة حتى أنهم لم يفكروا قط في بناء مدرسة لتعليم وتهذيب أولادهم ولا يزال الأولاد يدرسون في محلات لا تستحق هذا اللقب المقدس لما هي عليه من عدم انتظام وقباحة الترتيب وضررها للصحة العامة، وأنني أخطرت صاحب المحل عدة مرات لفرش أرض الغرف بالترابة الافرنجية (شمنتو) وتبييض جدرانها بالكلس لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك حتى الآن مع أن الحكومة أيدها الله تدفع سنوياً أجرة باهظة لهذه المحال القذرة ولو فكر في بناء مدرسة بهذه الأجور لأمكن إنشاء مدرسة شاهقة بأجرة هذه المحلات لبضع سنين.

هذه الأولاد أولادنا فإذا لم نفكر بصحتهم وراحتهم وعزة نفسهم كيف يمكننا أن نعلق عليهم آمالاً قوية للمستقبل. فما زال هؤلاء الأولاد هم ورثاؤنا الشرعيون فلم لا نبذل ثروتنا في سبيل سعادتهم ورفاههم، أظن أنه لا يوجد من يمكنه إيجاد أي طريقة للرد على هذا السؤال. إذاً فلتكن أهالي إربد وما بذلوه من الهمة والتضامن نحو تعليم وتربي أولادهم قدوة ولتنشأ المدارس الشاهقة بهمة الأهلين ولتكن المدارس أول ما يستجلب نظر السواح وبهذه الصورة نكون قد سلكنا المسالك القويمة التي سارت عليها أجداد الأمة العربية النجيبة وبلغوا

ما بلغوا من الرقي ونعيد ما سلف لهم من المجد والشرق المسطر في التاريخ بمداد الذهب وها أنا أول مجاهد في سبيل هذه الأماني فمدوا إلي أيديكم وشدوا أزري لنبلغ معاً هذه الغاية المقدسة(١).

١٠ ذو القعدة ١٣٤٢هـ

مدير الصحة العامة والآثار القديمة

«رضا توفيق»

(١) مقالة لرضا توفيق في جريدة «الشرق العربي«، العدد ٥٨، ١٦ حزيران ١٩٢٤، ص٢. ٣.

ملحق رقم (٣)

المقالة التي هاجم بها مصطفى وهبي التل رضا توفيق لتوقيعه مشروع روتمبرغ

«قبور وقبور[١]» «بمناسبة البيوع الصهيونية»

في خريف عام ١٩٢٥ رجع المجاهد العربي سعيد العاص من الحجاز بعد أن سقط ميناء جدة بيد الوهابيين، فضمني وإياه سقف بضعة ليالي فتحدثنا عن وضعيات الحجاز الأخيرة، ونهاية الهاشميين المؤسفة فيها، وعرض لنا من خلال الحديث موضوع جعلني اعتبر سعيد العاص وتحسين الفقير وسواهم من متطوعة رجال العرب العسكريين مسؤولين عن سقوط جدة، وأن أجادل السيد العاص بالموضوع مجادلة كدت أخرج منها ظافراً لولا الجواب الآتي الذي ما برح صداه يرن في أذني:

«لماذا تحصر ملامتك في سعيد العاص وخلافه، وماذا عساك تنتظر من سعيد والعائدي وتحسين ما دامت رغبات الملك علي وحاشيته كانت تقضي بجعلنا تابعين لأمرة الضباط الأعاجم الذين اختارهم الهاشميون للخدمة في جيش الحجاز - وهو طريد شريد آوته الحجاز- ليخجل من القول على مسمع منا وأكثر من مرة:

«ماذا يعنيني من حجازكم ومن كعبتكم المشرفة وبيتكم العتيق، أن مزابل بروسه لأحب إليّ وأعز عندي من أقدس مقدساتكم التي لا تربطني بها أدنى صلة».

مرت ليالي وكرّت الشهور على هذا الحديث الذي كنت أميل لعدم تصديقه لولا أن ضمني في إحدى ليالي الثلجة الأخيرة واحد من أدباء الأتراك ونبلائهم من أفراد القائمة المئة وخمسين التي ضمنها الكماليون أسماء الفوج الأول من المحكوم عليهم بالإعدام بتهمة الخيانة الوطنية، وفي عرض التحدث عن رضا توفيق الفيلسوف التركي وعضو لمجلس التنفيذي عندنا قال الأديب التركي:

- سمعت اليوم كلمة من رضا توفيق أبكتني ولسوف أظل أبكي كلما ذكرتها

- وما عساها تكون؟

- هي قوله ما لي لعمان وسكناها، وماذا يفيدني أن أكون محافظاً للآثار في حكومة شرقي الأردن، وأن يكون راتبي أربعين جنيهاً، ألا ليتني مساح أحذية في موطني ومسقط رأسي، لا أكسب في اليوم إلا ما أشتري به ما يقيتني ويقيت زوجتي من الفصوليا أو البطاطا أسلقها بالماء وحده وتكون طعامي حتى أموت. أني لأشعر أن منشأ سعادتي ومصدر لذات حياتي عندما كنت في قريتي، لم يك

---

(١) الكرمل، العدد ١٢٣٢، ٢٤ نيسان ١٩٢٧، ص٣.



في وزارتي، ولا في مناصبي الفخمة ورواتبي الضخمة، ولكنه كان في قربي من قبرين، كنت ولم أزل أقدسها وصديقين أحبهما.

هذه هي كلمة رضا توفيق الفيلسوف التي فاه بها قُبيل إبرام القرار ببيع روتمبرغ ستة آلاف دونم، كان رضا توفيق أسبق الناس إلى توقيعه. لقد شاءت الظروف أن يكون في عمان من نقل إليّ كلمته تلك، ولقد كان بودي أن يتقاضاني الدهر هذه البقية الباقية من حياتي وهي كل ما أملك ثمناً لبضعة دقائق تتقدم توقيع قرار البيع ومداولات المساومة وأكون حاضراً فيها جلسة المجلس التنفيذي هذه فأرغب إلى رضا توفيق الفيلسوف أن يعيد كلماته على مسمع من بقية الأعضاء لالتفت إليهم وأقول:

هذا الإنسان الغريب عن هذه البلاد التي أوته وحمته أطعمته وأكرمته والمحكوم عليه بالإعدام في بلاده بأكبر التهم وأدهشها يشتهي لو أنه مساح أحذية في مواطن آبائه ليكون على مقربة من قبرين، من يدري من أي صلب إغريقي أو بيزنطي تحدر صاحباهما.

أما أنتم أيها العرب الجالسين على كراسي الحكم المستأمنين على حقوق أهلها وتراث أجدادكم، ألم تقرعكم ضمائركم وترتجف أناملكم من التوقيع على بيع أراضي أنتم فيها أمراء أعزاء لم يطردكم أهلها ولم يشردونكم ولم يحكموا عليكم فيها من القبور من بعض أصحابها: «فاتح الشام أبو عبيدة عامر بن الجراح، هادي اليمن معاذ بن جبل، وغازي فلسطين شرحبيل بن حسنة».

وليكن لكم ما تستحقونه من الأجداد والأحفاد وليذكركم التاريخ بأعمالكم كما يذكر أولئك الصالحين بأعمالهم.

عمان

مصطفى وهبي التل

ملحق رقم (٤)

مؤلفات رضا توفيق

في مجال الأدب:

١- ديوان «سراب عمري»، جمع فيه كل أشعاره، الطبعة الأولى في ليفكوشا- قبرص، ١٩٣٤، الطبعة الثانية استنبول ١٩٤٩.

٢- ديوان «إلى شخص مجهول».

٣- «حسن ضيا الكبير» أحد شعراء الترك الكبار.

٤- «اللغة التركية التي يتكلم بها السيد أمين».

٥- محاضرة بعنوان «الشعر الجاهلي والأسباب التي دعت إلى نشأته وتطوره»، ١٩٢٧.

في مجال الفلسفة:

١- ترجم «رباعيات عمر الخيام».

٢- عبد الحق حامد: ملاحظات فلسفية، نشر سنة ١٩١٣.

٣- مفصل قاموس الفلسفة، نشر سنة ١٩١٤.

٤- معجم القاموس الفلسفي.

٥- رسالة صغيرة بعنوان «وحدة الوجود».

٦- دليل اتحاد عثماني، نشر سنة ١٩١٤.

٧- محاضرات فلسفية، نشرها في مجلة العلوم الاجتماعية والاقتصادية.

٨- محاضرة بعنوان «فلسفية التربية والتعليم الوطني».

٩- محاضرة بعنوان «تاريخ الفلسفة».

١٠- محاضرة بعنوان «فلسفة الحياة» باللغة التركية سنة ١٩٢٨.

١١- محاضرة بعنوان «فلسفة التفاؤل والتشاؤم» باللغة التركية، ترجمه محمد الشريقي، ١٩٢٨.

١٢- رسالة فلسفية بعنوان «قضية النفوس في المجتمع العربي»، نشرها على صفحات جريدة الشرق العربي ١٩٢٤، ترجمة محمد الشريقي.

١٣- مقالات فلسفية جاءت في حلقتين، الأولى بعنوان «هل في الطلول لسائل رد؟»، والثانية «الآثار وتاريخ الحضارة» نشرها على صفحات جريدة الشرق سنة ١٩٢٥، ترجمة محمد الشريقي.

كما ألف كتاب يعتذر فيه عن ذهابه إلى سيفر وتوقيعه معاهدتها حمل عنوان «لماذا؟ وكيف وقعوا؟»

ونشر مذكراته تحت عنوان «إني أتحدث قليلاً» في جريدة الصباح آب/أيلول ١٩٤٨.

ملحق رقم (٥)

جدول زمني لأبرز الأحداث في حياة رضا توفيق

١٨٦٠	ولد رضا توفيق
١٨٩٠	انتسب إلى كلية الطب
١٩٠٨	أصبح نائباً لأدرنة في مجلس المبعوثان
١٩١٠	انفصل عن جمعية (الاتحاد والترقي) وانضم إلى (حزب الحر المعتدل) المعارض
١٩١١	انضم إلى حزب (الحرية والائتلاف)
١٩١٣-١٩١٨	تولى منصب أستاذ للفلسفة ولتاريخ الأدب العثماني في جامعة استنبول
١٩١٨	عُين وزيراً للمعارف في حكومة الداماد فريد باشا
١٠ آب ١٩٢٠	وقّع معاهدة سيفر
١٩٢١	عُين عضواً في مجلس الأعيان، ثم شغل منصب رئيس مجلس الشورى
١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠	صدور حكم الإعدام عليه وهروبه من تركيا
٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٢	وصل رضا توفيق إلى الإسكندرية
كانون الأول ١٩٢٢	وصل إلى الحجاز
نيسان ١٩٢٣	وصل إلى فلسطين ومنها إلى شرقي الأردن
نيسان ١٩٢٣-آذار ١٩٢٤	تولى منصب ترجمان في الديوان العالي للأمير عبدالله
٢٣ تموز ١٩٢٣	شارك في تأسيس وعضوية المجمع العلمي العربي

٥ تشرين الأول ١٩٢٣	مرض رضا توفيق ودخل إحدى مستشفيات القدس
٥ تشرين الثاني ١٩٢٣	عاد رضا توفيق من القدس إلى شرقي الأردن
١٩ تشرين الثاني ١٩٢٣	عُين عضواً في مجلس المعارف
١٧ كانون الأول ١٩٢٣	أُنتخب رئيساً لمجلس المعارف
أواخر ١٩٢٣	شارك في اللجنة التحضيرية لوضع القانون الأساسي لإمارة شرقي الأردن
١ نيسان ١٩٢٤	شارك في اللجنة التحضيرية لوضع القانون الأساسي لإمارة شرقي الأردن
١ نيسان ١٩٢٤	عُين مديراً للآثار
٢٤ حزيران ١٩٢٤	عُين مديراً للصحة العامة
١ نيسان -٢٣ حزيران ١٩٢٦	تولى وكالة نظارة العدلية
٢٦ حزيران ١٩٢٦	عُين محافظاً للآثار في حكومة حسن خالد أبو الهدى الثانية
٢٨ تموز ١٩٢٦- كانون الثاني ١٩٢٩	عضواً في مجلس المعارف الاستشاري
١١-١٩ آب ١٩٢٨	تولى وكالة نظارة العدلية للمرة الثانية
١٦ تشرين الأول ١٩٢٨	سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية
١٧ تشرين الأول ١٩٢٩	قدومه من الولايات المتحدة الأمريكية
٢٣ كانون الأول ١٩٢٩	توليه منصب ترجمان في الديوان العالي للمرة الثانية
مطلع آب ١٩٣٠	أحيل على المعاش، سفره إلى جونيه (لبنان)
٧ كانون الأول ١٩٣١	شارك في المؤتمر الإسلامي الثاني في القدس

١٩ آذار ١٩٣٤	زار مع الأمير عبدالله أمراء آل الضـــامن في غور الفارعة
٥ كانون الأول ١٩٣٤	قدم من جونيه لتهنئة الأمير عبدالله بزفاف ابنه طلال
١٩٤٣	صدر العفو عنه وعاد إلى تركيا
٣٠ كانون الأول ١٩٤٩	توفي رضا توفيق



المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية والمعربة

المصادر

أ- المذكرات

١- أوغلي، عائشة عثمان: والدي السلطان عبد الحميد الثاني، نقلها الى العربية صالح سعداوي صالح، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان اوغلي (عمان: دار البشير، ١٩٩١).

٢- الحسين، عبد الله: الأثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣).

٣- حيدر، رستم: تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨).

٤- زعيتر، اكرم: (بواكير النضال) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤).

٥- العارف، عارف: ملف رقم ٢، مرفق رقم (١٣)، (١١٢)، الجامعة الأردنية.

٦- عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية (١٨٩١- ١٩٠٨)، جمعها علي وهبي، ترجمة مؤسسة الرسالة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩).

ب- التقارير

١- تقارير جاكوب إسرائيل دي هان عن لقائه مع سمو الأمير عبد الله (١٩٢٣- ١٩٢٤)، ترجمة مهنا حداد، مجلة اليرموك، الجزء الثالث، (اربد: جامعة اليرموك (دائرة العلاقات العامة)، العدد الأربعون، ١٩٩٣).

ج- المقابلات

١- مقابلة مع المؤرخ سليمان موسى، ١٩ أيلول ١٩٩٣.

د- المصادر

١- توفيق، رضا: التفاؤلية والتشاؤمية في الحياة والشعر (القدس: مطبعة الأردن، ١٩٢٩).

٢- الثعالبي، عبد العزيز: خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٩٣١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨).

٣- الحصيني، محمد أديب أل تقي الدين: منتخبات التواريخ لدمشق، ثلاثة أجزاء (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩).

هـ- دوائر المعارف والموسوعات والأدلة

١- خورشيد، إبراهيم زكي؛ الشتناوي، أحمد؛ يونس، عبد الحميد: دائرة المعارف الإسلامية، ثلاثة عشر مجلد (القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩).

٢- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ثمانية أجزاء (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠).

٣- غربال، شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، مجلدان (بيروت: دار النهضة ،١٩٨١).

٤- الكيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ستة اجزاء (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١).

٥- نعمان، ناجي: دليل الصحافة العربية (لبنان: دار نعمان للثقافة، ١٩٨٨).

المراجع العربية والمعرّبة

١- أبو صوفة، محمد: من أعلام الفكر والأدب في الأردن (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٣).

٢- احمد، إبراهيم خليل؛ مراد ، خليل علي وآخرون: تركيا المعاصرة (الموصل: جامعة الموصل (مركز الدراسات التركية)، ١٩٨٧).

٣- إيران وتركيا (الموصل: دار الكتب، ١٩٩٢).

٤- أوغلو، عبد اللطيف بندر: إشارات أولية في الشعر التركي (بغداد: دار الجاحظ، ١٩٨٣): قصائد مختارة من الشعر التركي المعاصر، مراجعة وتقديم إبراهيم الداقوقي (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).

٥- برو، توفيق: العرب والترك في العهد الدستوري الأول (١٩٠٨-١٩١٤) (دمشق: دار طلاس، ١٩٩١).

٦- بكار، يوسف (محقق): رباعيات عمر الخيام، ترجمة مصطفى وهبي التل (بيروت: دار الجيل؛ عمان:مكتبة الرائد العلمية،١٩٩٠).

٧- بني المرجة، موفق: صحوة الرجل المريض (الكويت: مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤).

٨- الحاني، ناصر: دراسات في النقد والشعر (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).

٩- حرب، محمد: السلطان عبد الحميد الثاني: آخر السلاطين العثمانيين

الكبار (دمشق: دار القلم، ١٩٩٠).
١٠- الخالدي، وليد: قبل الشتات: التاريخ المصور للشعب الفلسطيني (١٨٧٦- ١٩٤٨) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧).
١١- خريسات، محمد عبد القادر: الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١).
١٢- خير، هاني سليم: السجل التاريخي المصور للسلطتين التشريعية والتنفيذية في الأردن(١٩٢٠- ١٩٩٠) (عمان: مجلس الأمة، ١٩٩٠).
١٣- الخير، هاني: رباعيات الخيام في العربية (د.م: د.ن، ١٩٨٢).
١٤- رامزور، آرنست أ: تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة صالح أحمد العلي (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠).
١٥- الزعبي، زياد (محققاً): عشيات وادي اليابس (ديوان مصطفى وهبي التل) (عمان: مؤسسة الصحيفة الأردنية «الرأي» ،١٩٨٢).
١٦- السفري، عيسى: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية (يافا: مكتبة فلسطين الحديثة، ١٩٣٧) ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية.
١٧- سلطان، علي: تاريخ سورية (١٩٠٨- ١٩١٨) (دمشق:دار طلاس، ١٩٨٧)
١٨- سليمان، محمد: تاريخ الصحافة الفلسطينية (١٨٧٦- ١٩٧٦)، جزان (قبرص: مؤسسة بيسان للصحافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧).
١٩- الشوابكة، أحمد فهد بركات: حركة الجامعة الإسلامية (الزرقاء: مكتبة المنار،١٩٨٤.
٢٠- الشوابكة، أحمد فهد بركات: محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية (عمان: دار عمّار ١٩٨٩).
٢١- طوران، مصطفى: أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة (القاهرة: دار السلام ، ١٩٨٥).
٢٢- العابدي، محمود وآخرون: ثقافتنا في خمسين عاما (عمان: دائرة الثقافة والفنون،١٩٨٠).
٢٣- الحفريات الأثرية في شرقي الأردن. (١٩٢١- ١٩٦٢) (عمان: د.ن، ١٩٦٤).
٢٤- عثمان، حسن صالح؛ الشوبكي، حامد احمد: رجالات مع الملك عبد الله (عمان: وزارة الثقافة، ١٩٩٥).

٢٥- العودات، يعقوب: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين (عمان: وكالة التوزيع الأردني، ١٩٨٧).

٢٦- :عرار شاعر الأردن (عمان: د.ن، ١٩٥٨).

٢٧- قاسمية، خيرية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (١٩٠٨-١٩١٨) (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية (مركز الأبحاث)، ١٩٧٣).

٢٨- قطامي، سمير: الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة ١٩٤٨ (عمان: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٨١).

٢٩- كلشي، حسن: الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ترجمة محمد م. الأرناؤوط (اربد: دار قدسية، ١٩٩٠).

٣٠- الماضي، منيب؛ موسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين (عمان: د.ن، ١٩٥٩).

٣١- محافظة، علي: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨- ١٩١٤) ٩بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣).

٣٢- تاريخ الأردن المعاصر: عهد الإمارة (١٩٢١- ١٩٤٦) (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩).

٣٣- الفكر السياسي في الأردن: وثائق ونصوص (١٩١٦- ١٩٤٦)، جزان (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٩٠).

٣٤- مجهول: النهضة القومية (مصر: المكتبة العصرية، د.ت).

٣٥- المغيض، تركي: الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين (٢١- ١٩٤٨) (عمان: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٨٠).

٣٦- موسى، سليمان: إمارة شرقي الأردن: نشأتها وتطورها في ربع قرن (١٩٢١- ١٩٤٦) (عمان: لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٠).

٣٧- النعيمي، أحمد نوري: أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (مركز الدراسات الفلسطينية)، ١٩٨٢).

٣٨- وزارة الثقافة والأعلام: الأردن في خمسين عاماً (١٩٢١- ١٩٧١) (عمان: وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٧٢).

البحوث والمقالات

١- الأرناؤوط، محمد م: مذكرات إسماعيل كمال عن الثورة المضادة في استانبول، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العددين السابع والثامن (تونس: مركز الدراسات والبحوث العثمانية، تشرين الأول، ١٩٩٣).
٢- خليفة، عبد الكريم: مجمع اللغة العربية: نشأته وانجازاته (١٩٧٦- ١٩٩٣)، رسالة المعلم، بديل العددين الثاني والثالث، المجلد الرابع والثلاثون (عمان: وزارة التربية والتعليم، ايلول/١٩٩٣).
٣- الداقوقي، إبراهيم: الأدب التركي المعاصر، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث عشر (الكويت: وزارة الأعلام، نيسان/ايار/حزيران/١٩٨٢).
٤- قاسمية، خيرية: المؤتمر الإسلامي العام في القدس (١٩٣١) محاولة للبحث عن نصير، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٩ (دمشق: جامعة دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب، نيسان/١٩٨٥).
٥- القرعي، أحمد يوسف: دبلوماسية القمة الإسلامية وتحديات العمل المشترك، مجلة السياسة الدولية، العدد ٨٧ (القاهرة: مؤسسة الأهرام، كانون الأول/١٩٨٧).

الصحف

١- الجامعة العربية: وهي جريدة فلسطينية، بالعربية، أصدرها منيف الحسيني عام ١٩٢٧ في القدس[١].
٢- الجريدة الرسمية.
٣- الشرق العربي: هي جريدة الأردن الرسمية ، ولكنها لم تكن تقتصر على نشر الأنباء والبلاغات الرسمية والقوانين، بل كانت تنشر المقالات السياسية والأدبية والعلمية والأنباء العالمية، كان يشرف على تحريرها الأستاذ محمد الشريقي بصفته مديرا للمطبوعات، صدر العدد الأول من هذه الجريدة يوم الاثنين الواقع في ٢٨ أيار سنة ١٩٢٣، واستمرت في الصدور أسبوعية وأحياناً نصف شهرية. واعتباراً من سنة ١٩٢٩ تغير عنوان هذه الجريدة فصارت تسمى الجريدة الرسمية لحكومة شرقي الأردن، واقتصرت على نشر القوانين والأنظمة والبلاغات والإعلانات الرسمية، وبعد إعلان استقلال الأردن، تغير اسمها مرة أخرى فصارت تدعى الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية[٢].

---

(١) ناجي نعمان، دليل الصحافة العربية، ص١٠٠.
(٢) تركي المغيض، الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله (١٩٢١- ١٩٤٨)، (عمان:

٤ـ فلسطين: أسسها في يافا السيدان عيسى داوود العيسى، ويوسف العيسى في ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١١، وقد رخص لها كصحيفة نصف أسبوعية، سياسية، إخبارية، أدبية، مصورة، توقفت عن الصدور في العهد التركي، ابان الحرب العالمية الاولى يوم ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤. وقد حرصت (فلسطين) منذ صدورها على أنها جريدة (عثمانية دستورية اتحادية) تتحرى في متاباتها النفع العام، لذلك كانت تعني في الكتابة حول شؤون البلدية وانتخاباتها، وتطالب بضرورة إصلاح المحاكم، وتكتب مشجعة الزراعة كما انها اعتنت بالأدب والثقافة والحضارة والتراث. وقد داومت الصحيفة على الاحتفاظ بهذا المنهج حتى اندلاع الحرب، حيث أخذت تكتفي بنقل الأخبار. وفي عددها الصادر في ١٦ آب ١٩١٤ أعلنت هيئة التحرير انها ستصدر في المستقبل ثلاث مرات أسبوعيا(١).

٥ـ القبلة: جريدة حجازية بالعربية ، نصف أسبوعية، رسمية، دينية، سياسية، اجتماعية، أسسها الملك الحسين بن علي الهاشمي عام ١٩١٦، خلال فترة الحكم الهاشمي في مكة المكرمة، من ابرز محرريها محب الدين الخطيب وحسين الصبان، توقفت سنة ١٩٢٥(٢)

٦ـ الكرمل: أسسها نجيب نصار في حيفا سنة ١٩٠٨، كجريدة تبعث في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كانت تصدر مرة واحدة كل أسبوع حتى ١٩١٠/٨/٦، حيث أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع في يومي الثلاثاء والجمعة، توقفت حين نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، وتمكن نجيب نصار من فلسطين إلى مصر وبقي فيها حتى نهاية الحكم العثماني، وفي أوائل الحكم البريطاني عاد نجيب نصار إلى حيفا وعاود إصدار جريدة الكرمل اعتبار من ٩ شباط ١٩٢٠، وبسبب مواقف الجريدة وصاحبها نصار من الاستيطان الصهيوني في فلسطين، لاقت عداءً شديداً من الحركة الصهيونية وحاولت الصحافة الصهيونية أن تشوه رسالة الكرمل(٣).

وزارة الثقافة والشباب ١٩٨٠)، ص٩٣.

(١) محمد سليمان، تاريخ الصحافة الفلسطينية (١٨٧٦ـ ١٩٧٦)، جزآن (قبرص: مؤسسة بسمان للصحافة والنشر ١٩٨٧)، ج١،ص٨٣، ٨٤، ٨٦.

(٢) ناجي نعمان، المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(٣) محمد سليمان، تاريخ الصحافة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٧٥، ٧٧، ٧٨.

أفلام فيديو

١- بكار، يوسف: ترجمة عرار المخطوطة لرباعيات الخيام (اربد: جامعة اليرموك. (مركز البحث والتطوير التربوي)، ١٩٨٩) (فيلم فيديو).

ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية

المصادر

1- Simsir, Bilal N (Hazirlayan): Lozan Telgraflari (kasim 1922-subat 1923) (ankara: Turk Tarihkurumu Basimevi, 1990) cilt, I, N51.

2- Yucebas, Hilmi: Riza Tevfik: Layati- Hatiralari- Siirleri, (Istanbul: Arkin Dagitim Himited sirketi, 1968).

الموسوعات

1- Enciklopedlija Jugoslavije, vol 3, zagreb, 1984.

المراجع

1- Ahmed, Feroz: The Young Turks (Oxford: Glarendon Press, 1969).

2- Arai, Masami: Turkish Nationalism in the Young Turk Era (Leiden: E.J, Brill, 1992).

3- Aruri, Naseer, H: Jordan: a Study in Political Development (1921-1965) (Nether Lands: Martinus Nijhoff (the Hague, 1972).

4- Davis, Fanny: The Ottoman Lady (Newyouk: Greenwood Press, 1986).

5- Hanioglu, M. sukru: the young turks in opposition (new yourk; Oxford: Oxford University, 1995).

6- Landau, Jacob M: Pan-Turkism (London: C, Hurst & company, 1981).

7- Lewis, Bernard: The Emergence of Modern Turkey (London: Oxford Unvirsity, 1961).

8- Mandel, Neville, J: The Arabs and Zionism befor World War1





(Los Angels: University of California Press, 1976).

9- Marriot, J.A.R: The Eastern Question (London: Oxford University, 1940).

10- Pears, Sir Edwin: Life of Abdul Hamid (NewYork: Anew york Times company, 1973).

11- Shaw, Stanford. J: The Jews of The Ottoman Empire and the Turkish Republic (London: Macmillan, 1991).

12- Sonyel, Salahi Ramsdan: Turkish Diplomacy (1918-1923) (London: Sage Publications Ltd, 1975).

الدوريات

1- Turkish Student: The Influence of Modern Turkish Literature upon Turkish Westernizaton, the Moslem World, Samuel M. Zwemer, D.D (editor) volume XXl, (New York: Kraus Reprint Corporation, 1966).